إلى القارئ

غاية هذه المجلة خدمة الفكر في اوسع معانيه وأنبل مقاصده ذلك ما لم نزل نردده منذ ان اخذنا انفسنا بانجاح هذا المشروع عاهدنا انفسنا ووطننا ببذل اقصى الجهد حتى لا يكبو كما كبت مشاريع اخرى كثيرة في هذه البلاد من قبله .

وليست تموت المشاريع الادبية التي من هذا النوع لاسباب مادية دائما • فان المادة قوام المجلة من غير شك ، ولكن لا مبالاة القراء وسكوتهم ابعد اثرا في نفوس الساهرين على المشروع واشد وقعا واوهن للعزائم من المشاغل المادية ، اذ لا يتواصل النشاط ولا يثبت الجهد الا اذا شعر الكاتب بانه لا يصيح في واد ولا يخاطب حجارة صماء ولا يقرع حديدا باردا وانما يجلب بما يكتبه ويذهب اليه من صنوف الاراء اهتمام القراء ويحرك خيالهم ويثير خواطرهم ويهيج وجدانهم ويحملهم على التجاوب معه او الرد عليه •

❀❀❀

ونحن نعتبر ما يصلنا من رسائل وما يرد علينا من تعاليق للنشر او لمجرد الاعلام غير كاف ، لذا رجونا من قرائنا الافاضل ولا نزال نرجو منهم ان يتجاوزوا الملاحظات الشفاهية وان يدونوا لنا في رسائلهم آراءهم وملاحظاتهم وانتقاداتهم من دون رحمة حتى نهتدي الى الطريق ، خاصة واننا لم ندع يوما انا معصومون او انا محتكرون للحقيقة التي قلنا عنها إنها ليست ملكا لاحد لانها ملك الجميع •

ولعل القارىء يلاحظ في الاعداد الاخيرة ان حظ المناقشة النزيهة البناءة يتعاظم ولعله يلاحظ انا فتحنا بابا جديدا الى جانب « ندوة القراء » هو « بريد القراء » ننشر فيه ما يوجهه الينا قراؤنا الكرام او نرد بايجاز على من تعذر نشر مقالتهم لسبب ما، لا نتحاشى ذكره ما دامت غايتنا شريفة وعملنا نزيها •

❀❀❀

ان جيلنا يتحمل مسؤولية عظمى في النهضة الفكرية والادبية المأمولة . وانه يتمتع بحرية كاملة للخلق الادبي والبحث الفني ويتمتع كذلك بعطف المسؤولين وتشجيعهم ، فما يمنعه من ان يضاعف ثقته في نفسه ويستمد من ايمانه بمستقبل بلاده ومحبته للتربة التونسية - بل للارض المغربية المباركة - ما يقوى به على تحقيق الامل والقيام بالرسالة التاريخية المقدسة الا وهي: احياء الفكر وبعث ثقافة أصيلة في هذه الديار •

الفكر

على هامش قضية "بسترناك"

منزلة الكاتب

بقلم محمد مزالي

إن قصة « الدكتور جيفاغو » وما اكتنف ظروف نشرها من ملابسات لفتت أنظار الادباء وأصحاب القلم في بلدان كثيرة - وخاصة في البلدان غير الخاضعة لمنطقة النفوذ السوفيتية - الى شخصية مؤلفها بوريس بسترناك وحملتهم على الوقوف عند هذا الاثر الادبي الذي لم يتح له الظهور بروسيا ، وتبين ما قد يلقيه من أضواء على الادب الروسي المعاصر وتطوراته . لكن هذا الاهتمام وهذا التطلع تضاعفا بعد أن منحت الاكادمية السويدية جائزة « نوبل » لهذه السنة الى صاحب القصة ، لا تقديرا لهذا التأليف بالذات بل إكبارا للاديب الروسي الفذ والشاعر الرقيق ، وإعظاما لمجموع مؤلفاته التي لا يعرفها الا الواحد بعد الواحد من المثقفين في الغرب عامة . فلما وقفت السلطات الروسية وخاصة الاوساط الثقافية في موسكو من « بسترناك » موقفا عدائيا وضغطت عليه بحيث رفض الجائزة بعد أن ابرق يشكر الهيئة التي شرفته بمنحه إياها انتقل اهتمام جمهور الكتاب والمثقفين الى النظر في منزلة الكاتب بروسيا خاصة وبمنزلته على العموم حيثما كان؛ وهذا ما نود ان نتعرض اليه بايجاز خدمة للادب وحرصا على توضيح السبيل الى الناشئين من الادباء في هذه البلاد .

ولعل ذلك لا يتأتى حتى نقدم للقراء - وخاصة الى ذوي اللسان الواحد الذين لم يتمكنوا من تتبع اطوار القضية في المجلات الاعجمية اللسان - شخصية مؤلف « الدكتور جيفاغو » ونذكرهم بماهية القضية وبأهم معطياتها .

❊❊❊

ولد بوريس بسترناك بموسكو سنة ١٨٩٠ من أب كان يحترف تدريس الرسم بمدرسة الفنون الجميلة ويبدع في رسم اللوحات الزيتية ،وأم تهوى الموسيقى وتحذقها علما وفنا ، فنشأ في هذا الوسط الذي اتاح له ان يرهف حسه

يصقل مواهبه ويُثري تجربته ويوسع ثقافته ويتعرف الى كبار الفنانين والادباء يتعاطف معهم ويستمد منهم ، ومن أشهرهم وأخلصهم لابيه الروائي الكبير لستوي ، صاحب « الحرب والسلم » .

وما ان بلغ سن المراهقة حتى سافر الى برلين عاصمة المانيا صحبة عائلته ثم زاول تعلمه العالي بموسكو ثم ببرلين وبعد ذلك شرع في السفر الى أقطار أجنبية اخرى فزار فرنسا وإيطاليا وتزوج من إيطالية . وسرعان ما ظهرت ملكته الادبية وقد تأثر بالشاعر « بلوك » احد رفقائه في الشباب وكذلك بالشاعر الالماني « رايلك » . فكانت اول محاولة ادبية قام بها ترجمة لقصيدة « غوتا » التي بعنوان « الاسرار الخفية » ثم سكنه شيطان الشعر فنظم منذ سنة ١٩١٣ وكانت اول مجموعة له بعنوان « توأم في السحب » وتواصل إنتاجه الشعري ـ الغنائي خاصة ـ فيما بين سنتي ١٩١٩ و ١١٢٥ فنشر « وراء الحواجز » و « أختي الحياة » و « مطالب وتغيرات » ونظم قصائد كثيرة تغنى فيها بثورة ١٩٠٥ .

فلفت بذلك الانظار وتبوأ مكانة مرموقة في دنيا الادب ببلاده واخذ الشباب الروسي يتغنى بشعره . ولما نشر كتاب « ميلادٌ ثان » سنة ١٩٣٢ اهتمت السلط بأمره حتى اذا ما أخرج للناس سنة ١٩٣٤ « قصة » صودر هذا التأليف وسحب من المكتبات . فآثر بسترناك الصمت وانصرف عن الشعر والادب الانشائي عامة الى النقل فترجم الى الروسية أهم آثار « شكسبير » و « غوتا » و « رايلك » . وقد تمكن بفضل الترجمة من كسب القوت والتمتع بمنزل في « قرية الكتاب » في أحواز موسكو . ولا يزال الى اليوم مقيما هناك صحبة زوجته وابنه .

وبعد موت « ستالين » خفت وطأة الضغط المسلط على حرية الفكر عامة وحرية الاديب خاصة ففاضت قريحة بسترناك وقد طال كبتها فنشر سنة ١٩٥٤ في مجلة « العَلَم » الصادرة بمدينة لينينغراد عشر قصائد أثارت إعجاب القراء ورددها الشباب المتعلم .

وفي سنة ١٩٥٦ عرض قصته « الدكتور جيفاغو » على الرقابة التي لا يمكن طبع اي سطر ولا نشر اي كتاب من دون موافقتها وفي انتظار « التأشيرة » سلم نسخة مخطوطة الى ناشر إيطالي الجنسية شيوعي المذهب يدعى « فيلترينلي »

فظهرت القصة في ايطاليا باللغة الايطالية ثم فرنسا باللغة الفرنسية ثم نشرت بانقلترا فألمانيا . على هذا النحو عرف الادباء في كل مكان بسترناك وأقبلوا على قراءة قصته الطويلة محللين مستفسرين معلقين ، ولم يتسع لهذه القصة أن تنشر بموسكو الى اليوم .

فلما منحت الاكادمية السويدية جائزة نوبل لبسترناك تلقت منه يوم ٢٤ اكتوبر الماضي ردا ضمنه شكره واستعداده للقدوم الى « ستوكهلم » لتسلم الجائزة(١)،وفي نفس اليوم بدأت « المجلة الادبية » (Literatournata Gazeta) وهي لسان حال المنظمة الحكومية « جمعية الكتاب السوفياتيين » تهاجم صاحب « الدكتور جيفاغو » وتوالي اتهاماتها الى يوم ٢٨ اكتوبر حيث قررت الجمعية المذكورة رفت بسترناك بتهمة « الخيانة » وفي يوم ٢٩ اكتوبر صرح الكاتب العام للشبيبة الشيوعية السيد « سميتشاستني » بان « سلوك بسترناك اوسخ من سلوك الخنزير » وحينئذ اعلن المتهم انه يرفض جائزة نوبل فسجلت الاكادمية هذا الرفض يوم ٣٠ اكتوبر . وتوالت الهجومات عنيفة لا ترحم ، وفي غرة نوفمبر وجه بسترناك رسالة الى خروتشوف رئيس الحكومة ، يرجوه فيها ان يرحمه وان يمكنه من قضاء بقية حياته في ارضه قائلا : « ان طردي خارج حدود الوطن معناه - عندي - الموت ! » .

تلك هي حياة بسترناك وتلك اهم معطيات هذه القضية التي اثارتها قصة « الدكتور جيفاغو » وابرز خطوط تطوراتها رايت من الضروري تذكير القراء بها قبل التصدي الى علاج جوهر المشكلة اي منزلة الكاتب في هذا الوجود .

❁ ❁ ❁

وقبل كل شيء اود ان ارفع التباسا قد يكون حصل في ذهن بعض القراء فإني لا أريد من ذكر ما تقدم التشهير بالاضطهاد المسلط على المفكرين في البلدان الشيوعية وفضح استهتار القوم بحرمة الفكر وازدرائهم بحرية الرأي . لان ذلك ليس موضوع المقال اولا وثانيا لاني لا أريد تنزيه الغرب في هذا الصدد والمفاضلة

---

(١) نشرت مجلة « الاكسبريس » الفرنسية في عدد ٣٠ اكتوبر صورا شمسية تمثل بسترناك يقرأ البرقية التي تعلمه بانه فاز بجائزة نوبل والبشر يعلو محياه ، وتمثله ايضا في حفل عائلي اقيم بهذه المناسبة تلقى اثناءه تهاني اصدقائه .

بين جحيم الشيوعية وجنة الرأسمالية . فاذا كان الفكر مكبوتا في البلاد الشيوعية والتوجيه صارما قاسيا والادباء في منزلة الموظفين الرسميين تنفق عليهم الدولة مقابل افراز الادب وصناعة الفكر ، فان زملاءهم في البلاد غير الشيوعية - سواء كانوا في امريكا او اوروبا او افريقيا او آسيا - يتمتعون في اكثر الاحيان - بحرية لفظية كاذبة خادعة ، ويصطدمون بعقبات نفسية اجتماعية واقتصادية كثيرا ما تزيغ بهم عن القصد وتفسد عليهم حياتهم وتحول دون تبليغ رسالتهم على الوجه الاكمل .

ومن السخرية المرة ان يبادر بعض كتاب الغرب بتوجيه برقيات التاييد والتضامن لبسترناك وبالاحتجاج على المعاملة القاسية التي تعامله بها السلط السوفياتية باسم الحرية والقيم العليا وحرمة الانسان الفرد بينما هم لا يحركون ساكنا اذا داست حكوماتهم هذه المبادىء المقدسة ويسكتون امام حروب الابادة كالتي تجري رحاها في الجزائر منذ اربعة سنين خلت حيث تضطهد لا حرية فرد فحسب بل ثقافة امة ويمسخ تراث قوم وتنتهك اعراض ملايين من البشر ، ويكفيني برهانا على ما أشير اليه اذا ذكرت ان من بين المضمين في احدى تلك البرقيات عضوا « بارزا » في الاكادمية الفرنسية اعني « المرشال جوان » الذي كانت «البطة المغلولة» تطلق عليه - أيام كان مقيما عاما لفرنسا في المغرب - اسم « المارشال مارس (!) »

والحقيقة التي لا بد من الاعتراف بها والاعلان عنها هي ان القوم - سواء كانوا في هذا المعسكر او في ذاك - ايديهم قذرة ملطخة وضمائرهم قلقة ومسؤولياتهم متجانسة .

فاذا كان ذلك كذلك وجب ان نجتنب الوقوع في ضرب من ضروب الحرب الباردة واغتنام قضية « الدكتور جيفاغو » للتشهير باساليب روسيا في معاملة الادباء - كما فعل كتاب ونقاد كثيرون في الغرب - وانما الذي يحسن ان نعالجه ونحلله هو منزلة الكاتب على العموم وموقف الجماعة ازاء الخلق الادبي والابداع الفني .

❀❀❀

واول ما يجدر تقريره هو ان الكاتب مسؤول (١) عما يكتبه وعما يسكت

(١) انظر ما كتبته في هذا الصدد حول مسؤولية الكاتب في مجلة « الندوة » (جانفي وفيفري ١٩٥٤)

عنه لانه فرد من جماعة، في حدودها القومية الضيقة او في حدود الانسانية الشاسعة، ولانه بقدر ما يتأثر بهذه الجماعة ويتجاوب معها ويستمد منها ويستوحيها يؤثر فيها عاجلا ام آجلا، ما دام للكلمة مفعـول ولومضة الفكر رسالة. ولا يمكن ان يكون للمجانية معنى خصوصا في عصرنا هذا حيث يسرت العلاقة بين الكاتب والقراء اي بين أداة الارسال واداة التلقي، وتقصت العقبات التي كانت تعترض سبيل النشر والتوزيع، وارتفع مستوى الثقافة العام وانتشر التعليم ... وان «اندري جيد» الذي تسب إليه المجانيـة في الادب كان ملتزما خدمـة البشرية في ابعد أبعادهـا ومضطلعا بهموم الحياة واعباء الوجود. ألم يقل في آخر حياته عن لسان «تيزي» «اني - عن طيب نفس - اقترب من الموت، متوحدا. ذلك اني تمتعت بخيرات الارض، وانه ليلذ لي ان اتصور بان الناس، بفضل جهودي، سيجدون نفوسهم اكبر سعادة وافضل حالا واكثر حرية. لخير الانسانية الآجلة قدمت اعمـالي ؛ لقد قضيت نحبي».

فاذا خـرج الاديب من طور السفاهـة الى طور الرشد وشعر بمسؤوليتـه وادرك جنس التضامن الذي يربطه ببيئـته وعصره هل من واجبه بعد ذلـك ان يتلقى التوجيـه من المجتمع وينتظر التعليمات من معاصريه ويعرف قيوده فـلا يحاول تجاوزها؟ هل نستند الى «تكليف» الكاتب لنضع حدودا عقائديـة او فلسفية او اقتصادية سياسية لنشاطه العقلي وعمله الادبي؟

الحق ان «تسخير» الكاتب هو شر ما يهدد الادب الاصيل وينزل به الى مستوى الدعاية المحدودة الغرض المتصلة بالملابسات العارضة والظروف المتبدلة الزائلة.

الاثر الادبي فلذة يقتطعها الكاتب من نفسـه وومضة من ومضات حدسـه الوجودي وفيض من انسانيته الكاملة، هو خلق تتمخض عنه اعماق النفس المرتجة وتجود به التجربة الذاتية الحية بعد معاناة ومحنة، يكسوه الفن بجلاله ويصبغ عليه من سحره، فاذا هو الخلود واذا الاجيال تعود اليه وتستمد منه وتتجدد به. ولم تزل البشرية تخطو الى الامام بفضل ما انتجه شعراؤها ومفكروها وفنانوها عـلى وجه الدهر.

ومن يستقرىء التاريخ منذ مأساة سقراط يـلاحظ انه لا يكاد يمر عصر او

قرن لا يتنكر فيه المجتمع لاحد عباقرته فيقاوم بالمعاصرة باللامبالاة او بالضغط او حتى بالزجر، فما يلبثان يقبل الجيل الصاعد على ما بدعه الجيل السابق ويستحسن ويتذوق ما استهجنه ومجه الاولون . فكأن حجاب المعاصرة يحول دون سبر اغوار الاثر الادبي « الجديد » واستقصائه والتفطن الى ما قد ينطوي عليه من طرافة وما قد يمهد اليه من اسباب المستقبل . او كأن كل جيل من الاجيال فطر على الكسل العقلي بحيث لا يستطيع استيعاب الجديد الذي قد يغير من النظرة المألوفة الى الحياة ويعوض القيم الموروثة وينقل الوجود العادي و يذهب بالطمأنينة واليقين. ليس في ذلك ما يدعو الى القول بان الخلق الادبي والى حد ادنى من الحياء هو الكاتب الذي يستشرف ما لا يخطر على بال معاصريه، بفضل احساسه المرهف وبصيرته النافذة وقلبه الكبير (١) وتجربته العميقة ؟ قد يكون من الصلف او من ضيق النظر اذن ان نصدر حكمنا على هذا الاثر او ذاك بانه يخدم او لا يخدم هذه القضية او تلك ، بانه ينسجم مع هذه الفلسفة او تلك العقيدة ام هو لا ينسجم ومعنى ذلك ان الكاتب وان كان مسؤولا امام التاريخ فهو حر في عملية الخلق والابداع ولا تحتمل حريته اي حد او قيد، فهي كاملة مطلقة او لا تكون .

❀ ❀ ❀

فاذا رجعنا الى قضية « بسترناك » عرفنا الى اي حد يستهدف موقف السلط السوفياتية، وخاصة رجال الفكر هناك، النقد ويتعرض الى القدح . فهذا كاتب شاعر عاش ما يقرب من سبعين سنة في بلاده يستوحي عبقريتها ويتعاطف مع طبيعتها ويتغنى بمجيد تراثها وزاهر مستقبلها ، عايش الثورة الكبرى وتفاعل بما حملته من مبادىء واشاعته من قيم ، يكتب قصة طويلة يودعها الى جانب سحر الفن وروعة العبارة حاصل تجربته وزبدة تأملاته وهو في خريف العمر ، كأنه يريد « ان يقول كلمته قبل ان يمشي » واذا بالمسؤولين عن الفكر والثقافة في بلاده يرفضون نشر هذه القصة ويحولون دون حكم المعاصرين والاجيال المقبلة عليها أو لها: يقولون ان القصة لا تخدم الماركسية الاشتراكية وانها لا تخلو من حكم قاس على الثورة ونتائجها . واذا سلمنا بان الكاتب كغيره من المواطنين في الدولة

---

(١) اذكر في هذا الصدد بيت ابي القاسم الشابي:

يا قلب كم فيك من دنيا محجبة   كأنها حين يبدو فجرها إرَمُ

الشيوعية شغال آلته العقل وان للدولة عليه ان يكون انتاجه صالحا مرضيا فمن ذا الذي يدعي انه يملك المعيار الصحيح الذي يمكنه به تبين الصالح من الطالح والجوهري من العرضي؟ واذا ميزنا العمل الادبي عن العمل الفلاحي او الصناعي فما هي حجتنا في ما نصدره من احكام على ما لا يخضع للكم ولا يانس بالارقام ولا يبقى في حدود المكان والزمان؟

وقد اكد ماركس نفسه في اكثر من موضع ان الادب غايته ذاته وانه لايمكن تسخيره ودعا الى حرية الخلق الفني قائلا سنة ١٨٤٢ في «Gazette Rhénanie» مثلا: «الكاتب لا ينظر الى آثاره على انها واسطة، فهي غاية في حد ذاتها ولذلك يضحي هذا الكاتب - اذا لزم - بحياته في سبيل حياتها».

اما «لينين» أب الثورة الشيوعية، فكان يتحدث عن «الادب الحزبي» ويرى من اللازم مراقبة الادباء في المجتمع ولكنه كان يميز واضح التمييز بين الرقابة المسلطة على العمال والمزارعين وبين رقابة الادباء. فقد قال في احدى خطبه: «مما لا يقبل المناقشة أن الادب لا يخضع - اكثر من اي شيء سواه - الى مساواة عددية آلية، الى سلطان الاغلبية على الاقلية. ومما لا يقبل المناقشة انه يجب ترك المجال واسعا امام التلقائية الفردية، امام الميول الشخصية، امام الفكر والخيال، امام الصيغة والمحتوى». والدليل على ذلك ان لينين كان يعتبر الكاتب الروسي «غوركي» «اكبر كاتب للشغيلة» بالرغم عن انه انضم سنة ١٩٠٧ الى صفوف اعدائه وانكر سنة ١٩١٧ على «البلشفيك» ان يمسكوا بزمام السلطة. لكن «ستالين» هو الذي ضيق على الفكر بعد موت «لينين» وضغط على حرية الادباء فأسس جمعية رسمية لهم وضع على رأسها عيونا له. فما كاد يموت ويستنشق الادباء والمفكرون - ومنهم بوريس بسترناك - نفسا من الحرية حتى شعر «أسنين» و «فادايف» وهما من ابرز المكلفين بهذه الجمعية بفراغ مهول حولهما فما كان منهما الا ان انتحرا.

ومعنى ذلك ان تشديد المراقبة على اهل القلم ليس مبدأ حتميا من مبادىء الماركسية خصوصا وان «جدلها الباطني» ينتهي الى انها دوما حركة وتطور. فاذا صح ذلك فمن احق من الادباء ورجال الفكر باستشراف المستقبل وحدس اتجاه التاريخ وتحريك السواكن وبعث الهمم وقلقلة صروح التقليد والعادات في كل مكان؟ ان استقراء التاريخ منذ فجر البشرية الى اليوم يفيدنا ان الفكر لم

يزل المعول الهدام للنظم البالية ، والعصب المحرك لحركة البشرية الدائبة، والسوط المسلط على رؤوس الطغاة واعداء المستقبل ، والنور الهادي الى طريق السعادة اللامتناهية .

وليس هنا - طبعا - موضع تحليل القصة ومعرفة حظها من خدمة الشيوعية والانسانية ، فهذا بحث قائم بذاته ، واولى الناس به هم المفكرون الشيوعيون . ولكن الذي اردت التنبيه اليه هو ما يحسن ان نكون عليه من تواضع وموضوعية ازاء الاثر الادبي الاصيل مهما كان نوعه ومهما كان جنس كاتبه او لونه او عقيدته - ويكفي هذا الاثر قيمة وصلوحية انه يدعوني الى التفكير ويلح علي في السؤال وينبهني الى غامض النواحي ؛ وهبه لا يفيد ولا يحرك ساكنا أفليس من حق الكاتب علينا ان ندع مؤلفه الى التاريخ ليحكم له او عليه حكمه النهائي وان نجتنب إهانة الكاتب والضغط عليه (١) ، هذا الصفر ! .. كما يقول « كستلر » ، كما لو كنا على يقين من اننا نتكلم باسم « اللانهاية » ! ؟ .

❁ ❁ ❁

ولو كان الامر لا يتعدى البلدان الشيوعية ولا يتجاوز حدود ما تعانيه منذ بعض سنوات من ازمة مذهبية لا نزال نشاهد آثارها في هذه الاستقالات التي يقدمها باطراد كبار المفكرين الشيوعيين من الاحزاب الشيوعية في اوروبا وفي ما يؤلفه بعضهم من كتب يوضحون فيها موقفهم المناهض لاتجاه الثورة الشيوعية ولاساليبها مع ثباتهم على الشيوعية كمذهب فلسفي وغاية ومن ابرزهم في فرنسا (كلود روا وفركور ولي فيفر ....) ، قلت لو كان الامر كذلك لما عالجنا الموضوع باكثر مما يستحق . ولكن الامر يتجاوز في الحقيقة هذا النطاق اذ قد تاثر كتاب كثيرون وادباء عديدون في الشرق العربي بهذا النحو من الالتزام الضيق فلم يميزوا بين الالتزام الطبيعي بخدمة البشرية ونشدان القيم وايجاد المحال ، هذا الالتزام الذي لا يكاد يشذ عنه كاتب اصيل منذ اقدم الحضارات الى اليوم، وبين التسخير الكلي الذي يمسخ الاديب ويطمس فنه ويخمد جذوته.

---

(١) نذكر القراء في هذا المقام بما قاله في هذا الصدد سنة ١٩٤٢ بقرية جنان رئيس الحزب الشيوعي الصيني حينئذ ورئيس الجمهورية الصينية الشعبية اليوم السيد « ماو تسي تونغ » : « لتتفتح جميع الزهرات معا (في روضتنا) ... »

هذا الالتباس لا حظت آثاره عندما تشرفت بالمشاركة في اعمال المؤتمر الثالث لادباء العرب الذي انعقد في السنة الفارطة بالقاهرة - فقد ارتفعت اصوات كثيرة تنادي الادباء بخدمة شعارات سياسية بعنوان القومية العربية وتطالبهم بتسخير اقلامهم لفائدة اغراض عاجلة تزول بزوال الملابسات التي اقتضتها، وذهب بعضهم الى اتهام الاديب الذي لا يمتثل الى هذا « الواجب » بالخيانة(١) !كأنه يكفي - مثلا - ان يتناول القصيد « بورسعيد » ليكون شعرا حقا وكأنه يجوز لنا اليوم أن نصدر حكمنا بالاعدام او ان نعتبر خائنا كل شاعر او كاتب ينحو منحى عمر الخيام في رباعياته او أبي العلاء في لزومياته او الجاحظ في بخلائه وحيوانه ! !

ان الاديب مسؤول ولا يكون اصيلا ولا تبقى آثاره على وجه الدهر الا اذا التزم خدمة الانسان . ولكن ليس لاحد ان يوجهه وجهة دون اخرى ويسخره لاجترار شعار دون اخر اوخدمة قضية دون اخرى . لا يمكن ان يكون الاديب موسيقى ينشط العملة عند سماعها اثناء عملهم ويضاعفون انتاجهم، ولا يمكن ان يكون الادب موضوع مشروع السنوات الخمس او العشر . ان الاديب كالرسام والنحات والموسيقار ملتزم ولكن لا يمكن ان يعرف احد الطريق الواجب سلوكه ، في هذا الميدان ليست العصمة لاحد لان حق الابتكار والتجديد للجميع . ان منزلة الكاتب شاقة حقا لانه قدر عليه - أو له ! ان يتمرد على الموجود ويصدم الواقع ويثير المعاصرين ويكشف ويخلق ويبدع ولكنها منزلة مشرفة مقدسة اذ لا يمكنه ان يكون تابعا او منفذا . ان الكاتب لا يحتاج في حقيقة الامر الى الحرية لانه هو باعث الحرية ورائدها - انه في جوهره حرية وتحرير .

---

(١) هذه التهمة لم يتحاش سعيد العريان لانه يخدم القومية العربية . . . باخلاص من غير شك !! فالصقها بالاستاذ محمود المسعدي تعليقا على محاضرته التي ألقاها في المؤتمر المذكور والتي يجدها القارىء في العدد ٤ من السنة الثالثة من مجلة الفكر .

ضياع

بقلم احمد مختار الوزير

من دمي ، من مشاعري   لحن شعري المنغم
لحن شعري قصيدة   عن حياتي تترجم
هو أنشودتي التي   صاغها القلب والفم
هو جهري صريحه   وهو سري المكتم
هو لهوي وصبوتي   وجنوني المذمم
هو جهلي وغفلتي   وظلامي المخيم
هو شكي وحيرتي ،   هو ظني المرجم
هو ضعفي وقوتي   والرضى والتبرم
هو شوقي ولهفتي   هو حبي المضرم
هو روحي وهيكلي ،   وابتهالي المعظم
لحن شعري قصيدة   عن حياتي تترجم

❀ ❀ ❀

جئت أمس ، وفي غد   سوف أبلى وأحطم
ثم لحد يضمني   أخرس الخوف مظلم
تنتهشني أراقم   تتغذى وتطعم
فوق صدري وفي الحشا   تتلاقى وتنعم

جئت لا أدري كيف جئت ، ولا كيف أضلم
وتقدمت ، والحياة متاهة مجشم
قيل لي : العقل حكمة ورشاد ومغنم
قيل لي : العقل وحده في الحياة مؤمم
خدعتهم ظنونهم ليس للعقل مذأم
فانظروا هل رأيتم كيف يطغى ويغشم
وانظروا هل رأيتم كيف للشر يبرم
انه العقل حين ساد استبيح المحرم
فالدماء يريقها صارم الحد أعجم
والنفوس أبيتها يستذل ويجرم
هذه الأرض كلها نار حرب تضرم
أين ، أين معاذنا من فنون تهدم
يتبارى في صنعها مبدع ومتمم
أرسلوها كواكباً في الفضاء تحوم
وهي للفتك والفناء تعد وتحكم
اين ، أين أماننا انه العقل مجهم
خدعتهم ظنونهم ما لهذا العقل مذأم
انما العقل ، وحده ، في الحياة جهنم

❀ ❀ ❀

لحن شعري قصيدة عن حياتي تترجم
هو أنشودتي التي صاغها القلب والدم
هو بالحب ناطق وهو للحب ملهم

منزلة الشابي

بقلم الصادق مازيغ

لقد كان أبو القاسم رحمه الله أديبا عربيا ، ومفكرا صوفيا ، وان كان من طراز شاذ ، ونسيج عبقري . كان اذن شاعرا ، وشاعرا فحسب ، وكفاه فخرا أن يكون شاعرا بأتم واسنى معنى الكلمة .

الشعر هو الادب كله عند العرب ، وكل الصيد في جوف الفرى . الشعر العربي يتسع لكافة الاغراض والمعاني الانسانية ، ومن هنا سمي ديوان العرب ، وما زال ديوان العرب . وأبو القاسم شاعر عربي . ولقد اتسع شعره اتساعا مدهشا ، وكان الى ذلك متعمقا ، نافذا الى الصميم من حقائق الوجود ، ومشاكل الحياة ، متسائلا عن الاسرار الازلية التي أوشك أن يكشف عنها الحجب بما اودع من طابع سحري جذاب ، ورفيف وجداني خفاق ، ورنين موسيقي كاد أن يقتبس من اصوات الملأ الاعلى .

لقد كان الشعر في مفهوم أبي القاسم « كليا » . أعني أنه تناول الحياة في مجموعها وفي مشتبك حقائقها ، نافذا الى الصميم من مآسيها وافراحها ، بالغا الى الثمالة من كأسها ، مستقصيا ما شاء عن نعيمها وبؤسها ، بحيث يمكن أن يقال إن أبا القاسم كان شاعر الحياة ، وشاعر اليقظة والنشوة الشعورية معا ، وشاعر الحس الانساني المرهف الدقيق المتعمق الفسيح ـ شاعر النفسية النابضة الناهضة المتحسسة مظاهر الوجود في مختلف مشاهده من انسان حي وطبيعة متألقة متقلبة وكيان خاضع لناموس المد والجزر ، مطوق بغلّ الزمن الرهيب .

لقد نفذ الشاعر الملهم الى الصميم واستخلص من تجواله الفني واقتنص من تجربته الانسانية الوديعة الثائرة المطمئنة الحيرى معنى من معاني الانطلاق والتحرر الجريء من ظروف كون تقليدي خاضع للاسر والارهاق ، وقيود مجتمع إنساني متعفن وبيل . وانه عندئذ ليرجع الى الطفولة الغضة الناعمة الوديعة اللاهية العابثة

المرحة التي لا تعرف - لحسن حظها - معنى الماضي ولا للمستقبل - وانما تعيش في حاضرها الثري بالاحلام والاحاسيس والرؤى الفتانة الزاهية الالوان .

وبعد ، أو ليس الشاعر هو ذلك الذي احتفظ بطفولته الفقيدة ، وفردوسه السليب بمفعول الزمن المطمور ؟ أو ليس الشعر هو الافتكاك ، او الاسترجاع المترنم المسجوع ، لتلك الجنة التي أتيح لكل منا أن يعرفها في زمن ما ، والتي افتقدها الكثيرون ، أو دنسوا نقاوتها فأطردوا عن أفيائها ، وأقصوا عن حياضها ، والتي لا يحسن استعادتها الا العباقر الامجاد والافذاذ الملهمون والعشاق الاوفياء .

إن حنين الشابي الى الطفولة قد يفتح لنا نوافذ كثيرة على مجاهل نفسيته اللطيفة الدقيقة المفعمة بالاسرار . ولقد يكشف لنا بعض الحجب عن سر من اسرار عبقريته النورانية التي تسربلت بسربال الطهر وتقاوة الاحلام ونضارة الاحاسيس ، مهما كان من تفاقم الارزاء ، وتكالب المحن .

ان الشابي لهو ذلك العبقري الثائر ، وذلك النبي المجهول الذي يناشدنا بأن نعود الى فردوس طهرنا المفقود حتى نجد معنى السرمدية والطهر والنقاوة الملائكية والغبطة المرحة والخفة المجنحة والحرية الخالصة من القيود .

وكذلك ادى بالشابي تأمله الصافي الى تشخيص رائع رقيق لمعاني السرمدية والانطلاق او بالاحرى الى تمثيل مدهش جذاب لاتحاد بصميم الكون وعصارة الحياة وحقيقة الوجود . وكذلك يتاح لنا من خلال اهازيجه أن نبتني لنا ذاك العالم السحري الازلي وان نسترجع ذاك الفردوس النوراني الخالص من الاقذاء والاكدار .

وانها من دون ريب لصوفية قد لا تبوح باسمها - صوفية واضحة خفية في عين الآن ، وان اتجهت ذاك الاتجاه الرومنطيقي ، وتجللت بثوب الابداع . إن من وراء ثورة الشابي وجموحه الصارخين الباكيين المتحبين لوداعة ورقة ولينا وابتسامة هادئة ملائكية تكاد تكشف الستار وتبدد الحجاب عن عوالم خفية وكون قدسي أزلي يستمد منه الشاعر عناصر الهامه ويجنح اليه في مزيد من حنين ومضاعف هيام .

لم يشأ الشاعر عبثا ان يسمي نفسه « النبي » ، ولا صلى بـاطلا ولغوا في « هيكل الحب » ولا كان متخرصا في اثبات معنى الازلية والديمومة لذاته على الرغم من تكالب الآلام ، ودنو شبح الحمام

لقد كان الشاعر يستمد من صوفيته تلك القوة النابضة ، وتلك العزيمة الفولاذية التي امسى يتغلب بها على الادواء الحافة به من كل جانب والتي كم نغصت عليه عيشه وضيقت انفاسه ، وقد اطفات اخيرا بالفعل شعلة حياته الارضية الفانية وان اخفقت دون قتل ذاك الروح الخالد العملاقي الطاهر النقي

لا عجب اذن ان كانت المشكلة الاساسية التي اتجهت اليها افكار الشاعر واحاسيسه وتشكلت من حولها اهازيجه هي تلك المشكلة الصارخة الانسانية التي قد يحسن بنا ان ندعوها : مأساة الكون والفساد ـ مأساة الانسان العابر مجاهل الوجود ـ مأساة الموت والحياة .

لقد كانت هذه النقطة الاستفهامية تساور الشاب العبقري اليقظ الحساس في مختلف مجالات الفكر والشعور .

ولقد نشأ الشابي وترعرع وشب في فترة من تاريخ هذا الشعب التونسي كانت هذه المشكلة الجوهرية خلالها محط الاخذ والرد ، ومحل الياس والرجاء ، ومناط الرغبة والرهبة بالنظر الى أمة باسرها كانت تتوقع كارثة الفناء ، وتشاهد بعينها معاول الابادة تهدد هيكلها ، وتلمح ديدان السوء عابثة في غرسها ، وبزاة الابتلاع محلقة في اجوائها .

لقدكانت معضلة الحياة او الموت ـ وان شئت مفترق الطرق بين بعث وهمود؛ لقد كان هذا اللغز جاثما امام اعيننا ، ابناء ذاك الجيل ، وكان اذن من اوكد الاكيد حله الحل اللائق بعزة النفوس ، وصلابة الهمم ، او بالاحرى بكرامة الانسان

ولقدكان الشابي ـ هنا ايضا ـ هو ذلك النبي الذي آمن بالانبعاث الانساني القومي وانطلقت من خلال اهازيجه الملهمة انشودة الحياة الظافرة المتغلبة على فنون العسف وقيود الاسر والارهاق

واذا قارنت بينه وبين الطاهر الحداد وجدت الرجلين المتعاصرين المتآخيين

قد تقدماعهدهما وشقا طرق التحسس والاستجلاء في مناحي التفكير الانساني الخالص والوعي الاجتماعي الناهض لمن جاء على أثرهما من الاجيال .

والحقيقة المرة هي ان لا نبي « في عصره » وان شئت قلت في « حياته » ولقد ذهب الشابي الى حد ما طيلة حياته القصيرة ضحية النكران الساخر والازدراء الساذج السخيف ، كما نقم الناقمون ما شاء لهم الحمق والبلاهة الرجعيان على تحليلات الحداد لاوضاعنا الاجتماعية السخيفة البالية التي حاول تقويمها وقام شارحا طريق الرشد في اصلاحها .

ونحن اليوم - وقد مرت السنون وتعاقبت الاجيال الصاعدة ، وبدلت الارض غير الارض - نحن اليوم قد يمكننا ان نضع ابا القاسم في منزلته اللائقة به من نهضتنا الفكرية وانبعاثنا القومي ، ونضوجنا كأمة تواقة للعز والحياة .

ان للشابي لعظمة الشاعر الكوني الغائص عن اسرار الانسان الازلية وحقائقه السرمدية واشواقه النورانية ، ولكن لابي القاسم كذلك منزلته ومرتبته المرموقة الواضحة في سلم نهضتنا ومدرج انطلاقنا التحرري .

لقد عبر الشاعر في آثاره الخالدة عن ذلك الوعي الغامض الدافق الذي كان وما زال يساور امة بأسرها تواقة الى الكرامة والعز والحياة ، وتمثلت في شعره امتنا وهي في مفترق الطرق ومهب العاصفة متاهبة لخوض المعركة الحاسمة التي تحقق المصير وتقتسر مشيئة الاقدار .

بين الصحافة والادب

بقلم عبد الكريم محمد

> ليس هذا المقال موضوعا لمفاضلة بين الصحافة والادب ، وانما هو بيان لدور الصحافة في ازدهار الادب ، وحديث عن العلاقة بينهما

طلب مني الاستاذ الفاضل مدير « الفكر » ان اكتب في موضوع طريف وهام وهو « ادباء في الصحافة ... وصحافيون في الادب »

وحينما اردت ان اصدع بالامر نازعتني افكار اخرى الى جانب هذه الفكرة وكلها تتصل بموضوع واحد هو العلاقة بين الصحافة والادب .

وتواردت هذه الافكار وتلك ... كل منهما تريد ان تسبق الى الظهور على صفحات « الفكر » فتحظى بفضل « السبق » وهو عنصر هام من عناصر الصحافة الناجحة ، وبفضل التسجيل الموضوعي ، والابراز المادي والتصوير القلمي ، وهي عناصر اساسية في الادب الجيد ، ولم يكن هناك بد من ان الطرق الموضوع كله بافكاره المتعددة ، وجوانبه المختلفة حتى تكون الصورة متكاملة امام القارىء ، وحتى يكون البحث وافيا .

قبل الصحافة

ولنبدأ من النقطة الاولى وهي كيف بدأت العلاقة بين ..

لقد كان الادب - اقصد الادب العربي - قبل وجود الصحافة ، يعتمد على وسائل محدودة في نشره بين الناس ، وكان التفاعل الادبي بين الادب او الاديب منحصرا في نطاق يكاد يكون محليا .

ففي العصر الجاهلي كان نشر الانتاج الادبي يعتمد على الرواة وعلى اسواق العرب كعكاظ وغيره وهي وسائل فردية ومحدودة .

وزادت وسائل انتشار الانتاج الادبي بعض الشيء في العهدين الاموي والعباسي وذلك بكثرة الندوات الادبية وكتابة الكتب والدواوين الشعرية وتسجيلها وقيام النقد الادبي والدراسات الادبية ، وحتى ذلك كان في نطاق محدود .

وفي العهود التي توالت لم يكن نشر الادب وتدوينه يزيد الا بمقدار ما يزيد عدد المدونين والناقدين والولوعين بتذوق الادب وروايته.

الادب للجميع

الى ان جاء عصر الصحافة والمطبعة او جاءت فترة انتشار الادب على نطاق واسع بين الجماهير وهي الفترة التي يصح ان نسميها « فترة الادب للجميع »

لان الانتاج الادبي في عهد ما قبل المطبعة والصحافة كان قاصرا تداوله ومعرفته ودراسته وتعلمه على مئات محدودة من الناس انصرفت همتهم الى ذلك ، ودفعتهم هو ايتهم الى العناية به .

وحينما برزت الصحافة كان اول ما عنيت به هو الادب بل ان اكثر الصحف التي ظهرت كانت في بداية عهد الصحافة ادبية اكثر منها اخبارية ، وكانت تحرص على ان تسجل تحت عنوانها انها صحيفة او مجلة ادبية ، وابرز ما كان فيها هو الانتاج او الدراسات الادبية واذا رجعنا الى الصحف القديمة حتى الرسمية منها سواء منها « الاهرام » او « الوقائع المصرية » في مصر ومثيلاتها في القدم بالبلاد العربية الاخرى نجد ان اعدادها الاولى عامرة بالانتاج الادبي ودراساته ونقده وزاخرة بالمقالات والمساجلات الادبية ، حتى الناحية الخبرية فيها كانت تكتب باسلوب الادب لذلك العهد .

مرآة الادب

وظلت الصحافة العربية مرآة للادب وانعكاسا لصوره تنشره بين الناس وتتيح لكل قارىء ان يتذوقه ، ويتعرف عليه واصبح الادب للجميع لا لفئة خاصة من الناس يرتادون الندوات الادبية او يحضرون مجالس الادب والسمر ، في قصور الخلفاء والامراء .

واصبح الكاتب او الشاعر او الناقد يكتب للالاف من الناس الذين يقرأون الصحف ويطالعون المجلات مما ساعد بلا شك على الاجادة وعلى تكوين الملكات

الادبية وتنميتها وعلى ابراز المواهب واذاعتها ، وعلى قيام المساجلات بين عدد كبير من الادباء والناقدين لا بين فردين فقط كما كان يحصل من قبل بين شاعرين او كاتبين فحسب .

وفي الربع الثاني من القرن الذي نعيش فيه ازدهرت الصحافة الادبية او على الاصح ازدهر الادب في الصحافة فرأينا المجلات الاسبوعية طافحة بالالوان الادبية من انتاج ودراسة ونقد ، وكان الاسلوب الادبي هو المستعمل حتى في المسائل السياسية مما ساعد على ظهور وتكوين عدد كبير من الكتاب والشعراء والنقاد اصبحوا طليعة الادباء في عهدنا الحاضر .

عهد التخصص

ولئن كان عهد التخصص الذي نعيش فيه قد دفع الى ظهور الصحافة الادبية والصحافة الاخبارية فان ذلك لم يؤثر على استمرار علاقة الادب بالصحافة ووثوقها بل انه كان عاملا جديدا من عوامل زيادة انتشار الادب وذيوعه ، فلم يمنع ظهور الصحافة الادبية من ان تخصص الصحافة الاخبارية جانبا منها للادب ظهر في شكل صفحات ادبية او مقالات للادباء او نقد ادبي او انتاج قصصي او شعري بل ان للصحافة فضل انتشار القصة الطويلة او القصيرة في الادب العربي الحديث حتى اصبحت مادة ثابتة من المواد التي تقدمها الصحيفة او المجلة الاخبارية لقرائها .

الآثار العالمية

كما كان للصحافة فضل ايجاد التقارب والتعارف والاتصال والاقتباس بين الادب العربي والآداب العالمية في كل بلد فلم تكن الترجمة عن الاداب الاخرى سائدة قبل ان تقوم الصحافة بذلك اللهم الا في نطاق محدود كأن يعجب اديب ما بأثر من الآثار الادبية فينقله الى العربية ، اما اليوم فقد اصبحنا نطالع آثارا ادبية من الاداب العالمية تنقلها الصحف في اسلوب جيد وعرض حديث ، وحتى اخبار الادب والانتاج العالمي اصبحت بفضل الصحافة تعرف في حينها للمهتمين بالادب وغير المهتمين به على السواء .

وهذا الدور الكبير الذي قامت به الصحافة من ناحية نقل آثار الاداب

العالمية والعناية بربط الصلات بين ادبنا العربي او الآداب الاخرى كانت له آثار كبيرة في تطوير الادب العربي وسد نواحي النقص فيه ، وايجاد مجالات جديدة واغراض حديثة لم تكن له من قبل ، ولا اكون مبالغا اذ اقلت ان الصحافة قد احدثت ثورة في الادب العربي فيسرت من مفاهيمه القديمة وجددت شبابه ، ووجهته الى الطريق الذي سارت فيه الآداب الناهضة ، وجعلته يتطور لان يكون ادبا للحياة ، ومن سار على الدرب وصل .

تجديد اللغة

ومن الناحية اللغوية من تجديد للغة وتطوير لاساليبها وجعلها مسايرة للعصر الذي نعيش فيه ، مؤدية للاغراض والمفاهيم الجديدة .. فان الصحافة قد ساهمت في ذلك مساهمة كبرى فاقت مساهمة المجامع اللغوية التي استحدثت لهذا الغرض فلقد واكبت الصحافة سير الاحداث السياسية والاقتصادية والعسكرية والعلمية فضلا عن الثقافية ، وكان لها الفضل في تعريب مصطلحاتها - وكلها اجنبية - او على الاقل جعلتها كلمات عربية مستعملة يعرفها الخاص والعام .

وقد برزت مجهودات الصحافة في هذا الميدان: ميدان تجديد اللغة ومسايرتها للعصر وتأديتها لمطالبه .. اقول برزت هذه المجهودات خاصة منذ الحرب العالمية الاخيرة حتى الآن .

فلقد كانت هذه الحرب تخرج على الناس كل يوم بالجديد من الاساليب والوسائل ، وكانت بلاغاتها اليومية - وكلها بلغات اجنبية - تتضمن احداثا واصطلاحات وتعبيرات خاصة ، كان على الصحف ان تترجمها في الحال وان تخرج على الناس في نفس اليوم بما يقابلها من الالفاظ والمصطلحات العربية ، وتلك لعمري مهمة شاقة .

فالمجامع اللغوية الآن تقضي الاشهر والاعوام لتتابع ما نشرته الصحافة من مصطلحات في سائر نواحي الحياة وتضع له من الالفاظ والجمل والتعابير ما هو عربي محض - في رأيها - ولكن الصحافة قد قامت - وتقوم - بهذه المهمة في الحين ، بل ان الالفاظ والتعبيرات او الجمل والمصطلحات التي قدمتها للجمهور لما استحدث في سائر نواحي الحياة قد اصبحت مستعملة على نطاق واسع ، ولا اكون

مغاليا اذا قلت انها كانت اكثر سلاسة من مصطلحات المجامع العلمية اللغوية واقرب الى المعبر عنه .

ولن أنسى - واعتقد ان كثيرين مثلي لن ينسوا كذلك - تلك التعبيرات والمصطلحات التي كانت تخرج بها الصحف طيلة ايام الحرب العالمية الاخيرة وما بعدها وهي لو جمعت لاصبحت معاجم وقواميس .. ومن منا لا يذكر كيف اصبحت كلمة « القنبلة الذرية » و « الامم المتحدة » و « ميثاق حقوق الانسان » و « الصواريخ » و « المساعي الحميدة » و « الهدنة » و « الصلح » و « مؤتمر الاقطاب » وغير ذلك من مئات المصطلحات العلمية والسياسية والعسكرية والقانونية والاجتماعية - كلنا يذكر ان هذه المصطلحات العربية المعبرة تمام التعبير عن مقابلها باللغات الاجنبية - وهو الاصل - تعبيرا جزلا ، اصبحت في متناول كل قارىء وكاتب ، ولولا الصحافة لا تنظرنا السنين الطوال حتى تجتمع مجامع اللغة وتقرر - لو اتفقت - تعبيرات عربية لها !

ألم يكن للصحافة في هذا الباب فضل واي فضل ؟

تجديد الادب

واذا انتقلنا من ميدان تجديد اللغة وفضل الصحافة فيه فاننا ننتقل الى ميدان آخر هو تجديد الادب نفسه وللصحافة فيه دور عظيم فاق دور الكتب او المحاضرات او غير ذلك من الوسائل .

فلقد جددت الصحافة الادب العربي وطورته حتى اصبح يضاهي غيره - ان لم يفق في بعض النواحي - من الاداب العالمية الاخرى العريقة في الوانها واتجاهاتها .

لقد نقلت الاداب الاخرى اول ما نقلت عن طريق الصحافة وقد نوقشت اتجاهاتها ومفاهيمها فيها ، وقد تطور الانتاج الادبي العربي على نمطها في الصحافة ايضا .

ولقد ظهر الشعر الحر اول ما ظهر في الصحافة ثم اخذ طريقه الى الكتب والدواوين .

والاساليب الفنية المختلفة ظهرت في ميدان الادب عن طريق الصحافة .

والصراع بين الادب القديم والادب الحديث الذي تولد عنه تفاعل وتطور في كليهما، كان ميدانه الصحافة . واتصال الادب العربي بالفنون الاخرى سواء منها التمثيل او السينما او التصوير او النحت او الرسم وتفاعله معها وانتاجه من اجلها ولها .. هل كان بطريق آخر غير طريق الصحافة التي نشرت الروايات وترجمت المسرحيات وابرزت القصص ، واوردت النقد الفني لهذه الفنون حتى استوت او كادت ؟

ان المتتبع لالوان الادب العربي واغراضه وأساليبه ووسائله واهدافه ليجد فرقا هائلا فيه بين عصور ما قبل الصحافة وعصر ما بعدها ، وانه لواجد فيه تطورا عظيما وتنوعا كبيرا وتجددا ضخما على يدي الصحافة .

واذا كانت الصحافة لها هذا الاثر الكبير في ميادين تطوير اللغة وتجديد الادب ونشره وتوثيق صلته بالاداب العالمية الاخرى وتنويع مذاهبه وافكاره، فان لها دورا كبيرا في التاريخ للادب نفسه بحيث قد اصبحت مرجعا يكاد يكون أساسيا لدراسة الادب ، وتاريخ الادباء في عصرنا الحديث ،لان الآثار الخالدة لهم والصور المتعددة لشخصياتهم كان للصحافة الفضل الكبير في ابرازها وحفظها في نفس الوقت للزمن وللتاريخ .

وان للصحافة لدورا آخر بالنسبة للتاريخ العام للامة العربية في العصر الحديث فهي التي سجلت ادواره وأطواره وهي التي اشتملت على معالمه ، واحداثه ، بالرغم من كل ما عانته ، وبالرغم من وقوعها في كثير من الاحيان تحت نير الضغط والاكراه ومحاولات قلب الحقائق بالقوة .

دور الادب في الصحافة

ولرب قائل يقول : ما بالك قد أسرفت في التغني بفضل الصحافة على الادب حتى انك كدت تخرج عن الاطار الذي رسمته لهدف مقالك منذ البداية ، ثم لماذا نسيت دور الادباء في تطوير الصحافة نفسها بل في خلقها ونشأتها .

الم يكن اوائل المشتغلين بالصحافة من الادباء ؟ والم يكن رواج الصحافة سببه كتابات الادباء وافكارهم وانتاجهم ؟

اليس للادباء المبرزين الفضل جل الفضل ان لم يكن كله في سبيل انتشار الصحف وتلهف القراء عليها ؟

هل كان الناس في مصر مثلا يقبلون على الصحافة في بدء نشأتها لولا كتابات وانتاج الرواد من الادباء الصحفيين ؟

هل نسيت دور علي يوسف والمنفلوطي وشوقي وحافظ ابراهيم وطه حسين ومحمد حسين هيكل وتوفيق الحكيم والمازني وغيرهم ... وغيرهم كثيرون من الادباء الذين اشتغلوا بالصحافة او انشأوها او ساهموا فيها حتى اصبح القراء يترقبون الصحف ليطلعوا على انتاجهم فيها وبالتالي على غير ذلك مما تحتويه وهل نسيت انه لولا وجود الادباء المتضلعين في اللغات وفي اللغة العربية لم يكن من السهل نقل الآثار والاداب العالمية وتعريب المصطلحات المختلفة الى اللغة العربية؟

وهل نسيت ايضا انك اذا اردت ان تؤرخ للصحافة العربية فانك ستجد للادباء الدور الاكبر في نشأتها وفي تطورها ونهضتها وانتشارها ؟

ولكنني لن انسى ذلك او غيره من دور الادباء في الصحافة كما انني لم انس دور الصحافة في الادب

وانما الذي دفعني الى ماذكرت هو ان قوما من الادباء قد غلبت عليهم النزعة الانطوائية ، فراحوا يقولون عن الصحافة - من ابراجهم العاجية - انها بسطت اللغة والادب حتى امتهنتهما وانها قربت مفاهيمها الى الرجل العادي حتى ابتذلتهما وان الشكل والصنعة قد غلبت عليها حتى اصبح ذلك جوهرها وانها قد اوشكت ان تكون خطرا على الناشئة الذين يلتمسون فيها العون لتنمية افكارهم ومواهبهم الادبية بما تخرج فيه من لغة مفككة وأساليب مهلهلة .

وقد يكون في حديثهم هذا بعض من الصحة والصدق ... ولكن ليس الذنب ذنب الصحافة ولا المشتغلين بها - وانما الذنب هو ذنب الادباء انفسهم الذين قبعوا من ابراجهم العاجية واكتفوا بقصيد او كتابة خافتة يرددونها بين اربعة جدران بينهم وبين انفسهم او بينهم وبين من هم على طريقتهم من الادباء او المتأدبين او المسامرين فخافوا الا ينزلوا الى ميدان الصحافة او يساهموا في نهضتها وترقية اساليبها واوجسوا في انفسهم خيفة من ان يجر اليهم الاشتغال بها المتاعب وهي مهنة البحث عن المتاعب فلم يحققوا للمجتمع ادبا راقيا ولم يعملوا على ترقية الصحافة واساليبها ، وهكذا اصبحوا في معزل عن الصحافة وسلكت الصحافة كل الطرق اليهم فلم توصلها بهم .

لقد ازدهرت الصحافة او بدأت على الاصح تشق طريق ازدهارها منذ ان كان فيها الادباء مساهمين وازدهر الادب وشق طريقه في ميدان الصحافة . فعودوا اليها ايها الادباء « العاجيون » وتفاعلوا معها وتطوروا كما تطورت صناعتها تزدهر بكم وتلمعوا بها ويتطور الادب ويعظم قدره !.

إيمان

بقلم جواد صيداوي

صلب بنياني ..

صلبُ

يتحدى الهول ويشتدُ

فليعصف في ليلي الشك

ولينعب في سمعي الافك

ولينحر فى فجري الضوء

وليظلم قدامي الدرب

وليحجم ، ان شاء ، الصحبُ

فيقين جبار صلدُ

أثباج الساح له مهدُ

ودماء الفجر له نهدُ

وضمير الاحرار اللحدُ

فانا باق باق أشدو

ما دام باحشائي الوجد

ما دام يتعتعني المجد

اعتصر الروح لمن يكبو

وعلى جفنيه شعاع لا يخبو

يحلم بالصبح ويؤمن بالوحدة

ويبدد بالعزم ركام الشدة

سأظل العمر له أشـدو

ليغذ السير الى القمـــــة

ويقبل اهداب النجمـــــة

ويطرز آمال الامـــــة

بهتاف أبـدي النغمـــــة

يغـــــذو وتر الحريـــــة

ويعانق ركب البشرية

ويشق عباب الـــــديجور

بشراع قـــــدسي النور

❀ ❀ ❀

فانا باق باق أشـــــدو

ما دام يتعتعني المجـــــد

ما دام يجددني العهـد

إفلاس أو "حبك درباني"

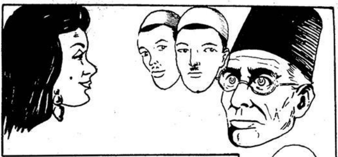
قصة

بقلم البشير خريف

نبـدأ في هذا العدد نشر قصة طويلة لاول مرة منذ بروز هذه المجلـة بعنوان « إفــلاس أو حبك دربـاني » وهي قصة مستوحاة مما كان يوجد في المجتمع التونسي منذ ثلاثين سنة : لا شك أنها تثير مشا كل وتعالج عقـدا في أدبنا التونسي وتخطط نفسيات عارية من الزخرف والتكلف• إلا انها لا تروم التقويم من حيث هي ، ولا تسعى الى التنويه بحميد الاخلاق او تالد المجـد • هي ثورة على التحفظ والتـزمت والمألوف ... فيها انتهــاج سبل جديدة وجرأة وحياة نأمل ان تمهد لادب تونسي صميم• ونحن في أسـرة « الفكر » رأينا أن نعرضها بما لها وما عليها ـ تبـاعـا ـ من دون أن نجهل ما قد يثيره أسلوبها من نقـد وما قد يبعثه حـوارها العـامي من قلق وضيق وما قد تبقيه واقعيتها العارية من أثـر سيء في بعض النفوس ـ ولكنا سعينا الى خـدمة الادب ، والادب من الحيـاة النـابضة او لا يـكون•

على أنا أبعد الناس عن ادّعـاء الحقيقة او احتكارها فقد يجـد بعض القــراء في هذه القصة ما يستهجن وقد يناقشنا بعض الادباء •فهــوم القصة ورسالتها وأسلوبها ـ لذا نرحب بكل ما سيوجهه هؤلاء واولئك الى الفكر من المـلاحظات والانتقادات حـول هذه القصة بعد قـراءة جميع حلقاتها • ونعتقد أن تبادل الرأي حول « إفـلاس » وحول « القصة التونسية » عامة عمل مفيد ، بل حيوي بالنسبة للادب التونسي الذي تهمنا خدمته قبل كل شيء•

« الفكر »





إن القصة روح قبل أن تكون مظهرا، وفكرة قبل ان تكون حادثة، وانّ روح القصة الحي وفكرتها الصميمة يجب أن تكون قبسا من الانسانية التي إليها مَرَدُّ الفن الرفيع.

محمود تيمور

- ١ -

كان الشيخ اسماعيل الصدراتي والممثلة فوزية نعيم والممثل سليم البورجي عائدين من التمرين في «كروصة» بين القصبة وباب منارة، وكانت اجراس الخيل ووقع حوافرها تملأ سكون ليلة من ليالي شتاء ١٩٢٥. واذا بالشيخ يصيح، مشيرا الى احد المارة

- هذاكه موش الباجي ؟ شد يا كرارصي، يلعن السخط والله يعطيني لحيةهارون الرشيدوالاانا وإياه للبرماناص.

اوقف الكرارصي ونزل الشيخ.

- امشيو توة نخلط على ساقيّ.

قالت فوزية :

- يا ولدي اخطاك. ها الشوهه باش تعملها

نزل الشيخ وتابعت الكروصه سيرها خيم الصمت وثقل الجو ، واخيرا قال سليم :

- ما اصعبو الشيخ !

- آش ريت ؟

- عاد حتى معاك انت؟ يعجبك ياسر

- كل واحد يقاسي اللي كتب له

لم يجد ما كان يتوقع . بل آنس اطراحا فيه تكلف ، فتجاسر قائلا :

- برشه ناس يحسدوا الشيخ ويتساءلوا كيفاش منجمتو مع اخلاقو المزمرة

- ما يخفاكش المرأة ليها راجل في ها الدنيا . وانا وبنتي وامي اشكون باش يقوم بينا ؟

- والشيخ عندو باش يقوم بيكم؟

- انت ماهو احسن من بلاش وبرة؟

شعر سليم بانه سيد الموقف ، واخطر ما قد يقع له صفعة من يدها اللينة . لا ضير ، هما على انفراد ، وليس من يذيع الخبر . دخلت الكروصه في ظلمة بين باب الجديد وباب الجزيرة فاقترب منها وتحسس هل من نفور وضمها وقبلها وانتظر ...

- هكه سليم ! استنى . رد بالك من الحمير يمشيش يلحظلك وجهك ..

واخرجت منديلها وبللت طرفه بريقها واخذت تمسح له ولما خرجت الكروصة الى ضوء باب الجزيرة تركت له المنديل وهمست .

- تحت شفتك ما زال تبويسة

عندها وصلوا امام نهج سيدى البيدي فنزلت ، خفيفة كالروحانية ، واختفت في ظلام زنقتها .

صاح سليم بالكرارصي :

- كمل لباب بحر من فضلك

- ايص ! قدم ! ...

وطربق الكرارصي سوطه في الهواء وانطلقت الكروصة بجلاجلها تخترق الانهج نحو باب البحر ثم البيقة ثم باب سويقه وسليم مستلقى ينعم ... اهل المقاهي في العابهم وضوضائهم والباعة « بنصباتهم » والدكاكين انقلبت اندية بعد انقضاء النهار في بيع وشراء هو ذا صاحب الدكان في جماعة من اخوانه يسمرون بالتاي والاحاديث الحلوة . وتلك الدكاكين الخابي ضوءها او المرصع ظلامها باقباس « السواقر » إن بها انسا وحركة وحديثا ذا شجون .

الكروصة تهرول وسليم ينعم : « ايها العباد ، اسمعوا وعوا ، انا سليم ابن حميدة البرجي ، اني سعيد ! »

وتذكر صيحة لا مرتين وسط بحيرته : « توقف ايها الزمن »

هو في الثانية والعشرين من عمره تحصل على الشهادة الابتدائية ، ثم التحق بجامع الزيتونة فتنقل بين عرصاته حتى التطويع ، لكنه رسب في عدة دورات فسئم التعلم وطوله واصيب بأزمة «التصتيكه» ولم يعد يفهم شيئا من خصومة المعتزلة واهل السنة ولا من اختلافات البصريين والكوفيين وابتغت نفسه الخوض في ميدان الحياة . ففر من الجامع وجدياته الكالحة واختلف الى مجتمعات الشباب اللاهية الريانة .

احس بالحاجة الى « المصروف » فطرق ابوابا كثيرة واستقر كاتبا لاحد المحامين بالعاصمة .

فرح بمكانته هذه ، وان كانت اوجه الحسن لا ترضي غيره فقد وافقت منه ميولا : ليس عليه كبير عمل ، فالمكتب مكتب محام في عشرة السبعين لم يبق فيه من القضايا الحية الا ستة او سبعة ملفات ، وموقعه في شارع جميل زاخر هو باب بنات وبه كنز من الكتب الادبية عثر عليه بين الملفات وزوايا الخزائن

ياتي مع الثامنة صباحا ويمر على القهواجي يطلب قهوة ثم يفتح المكتب وهو شقة ذات حجرتين متقابلتين اليسرى للاستاذ واليمنى له وبينهما مجاز طويل ينتهي بباب المطبخ والمطبخ كنز الكتب الادبية فقد اتخذها الاستاذ مستودعا للوثائق والملفات المحفوظة والمرتبة حسب السنين في درج يغطي كامل الحائط وذلك عمل حياته القضائية كلها . وما فضل عن إستيعابه الملفات امتلأ بالجرائد والكتب . بعضها محشو حشوا وبعضها فوق الرف الاعلى وبعضها متكدس في خزانة حائطية . وتداخلت الملفات والمجلات والجرائد والكتب يكسوها غبار كثيف انتصبت به خيام العنكبوت ، وباض حوت الكتب هناك وفرخ

في هذه الادغال ينغمس سليم باحثا عما يطابق هواه . فتعرف الى مؤلفات نقولا حداد واديب اسحق والروايات المترجمة عن اساطين الادب الغربي كالثالوث كورناي وراسين وموليار ومعلمهم شكسبير وميلودرامات عصر الفروسية والقرصنة ومجلات شرقية اكثرها مجلة الصباح ، حيث وجد اخبار اهل الفن وطرف الممثلين وملحهم ايام كان يوسف وهبي وجورج ابيض وعزيز عيد يملؤون الشرق بدويهم الفني .

وكان يحلو له ان يتجول بخياله في حديقة الازبكية وشارع عماد الدين والاوبرا ومسرح رمسيس . فيعجب بصور منيرة المهدية وفاطمة رشدي ويعجب لهؤلاء الرجال والنساء انصاف

الآلهة ويتساءل : هل توجد بيونس من لها عيون منيرة او فصاحة فاطمة او من له زعقات جورج ابيض او مواقف يوسف وهبي المؤثرة ؟

كان يغشى المسارح . ولا يتصور ان يرفع ستار ولا يكون مشاهدا لما خلفه من مناظر ، تارة في «الاوركستر» وتارات في « الانفيتياتر » .

اقتحم الوسط الفني بان نقد بعض المسرحيات على الجرائد . فكان نقده خالصا ؛ إن أعوزته الدراية الفنية فلم يعوزه الذوق في حكمه ، خاليا من الاطراء التزلفي ، لانه لم يكن يعرف المديرين ولا يعلم شيئا عن تنافسهم ومكائدهم ، خاليا من نقرات القلم على أم الرأس لعدم طمعه في مودة الممثلات او الممثلين ولا إغاظتهم ، تلك النقرات التي تدل على انتقام شخصي وحزازات لا غيرة على الفن .

هدده بعض الغاضبين وشجعه بعض الراضين ودخل نوادي التمرين وقام بخدمات مختلفة : اقتبس وترجم ولقن ومثل ونسخ ومسخ .

على ان ملاحظاته في التمثيل والاخراج والاقتباس كانت تدل على احساس مرهف لا بأس به وكثيرا ما يأخذ بها المدير الفني إن كانت العلاقات طيبة .

حاول فأنتج شيئا شخصيا لكن باءت محاولاته بالفشل فاستقر في ذهنه انه احد رجلين : اما « قليل » واما عبقري غير مفهوم والى ان يتضح اي الرجلين هو ، اقتنع بالقيام بادوار بسيطة .

كان متفائلا جذلان . لا ينقصه شيء . أمه عجوز تعطف عليه وتتسامح معه عندما يغالطها في حساب منابها السنوي من الحبس . ورئيسه الاستاذ المحامي لا يضايقه في شيء . حسبه ان يجد المكتب مفتوحا في التاسعة عندما ينزل من «الترنفاي» ويتدرج نحو مكتبه فينهمك في اعداد قهوته ومطالعة الصحف الهزلية .

وان صادف وأرسله الى محكمة الدربة او الديوان في قضاياه القليلة ، فلا يحرم نفسه من مغازلة الشابات المتقاضيات وبعد الظهر ، عندما يعود الاستاذ الى بيته في ضاحية أريانة فيبقى المكتب له وحده ، يستقبل رفاقه من الممثلين فيخططون تصميم الاعلانات المقبلة ويتمرنون ثم ينطلقون الى صيد الفتيات الجميلات وقنصهن بباب البحر والقرانة .

وكان للمسرح عليه سلطان واي سلطان . يشعر اذا كان في الكوليس بين المناظر والاعمدة والابواب والادوات المسرحية المتراكمة تراكم

ادوات المزمة ، يشعر بروح شكسبير العظيم تهيمن على كل ذلك وتجعل منه حلما وشعرا واختلاجات رفيقة ؛ رجل المطافيء هو في نظره احد جنود هملت والماشينيست شاعر اذ يشارك في الاخراج وقطعة الخشب التي تصلح لشد المنظر هي شعر ايضا .

فكان بين المكتب والمحاكم والمسرح سعيدا ، لا ينقصه شيء . . . لا ، بل اذا خلا الى نفسه ، يجد انه ينقصه شيء . . . ينقصه الحب ، حب عميق يملأ فراغ قلبه ويجعل من تلك التي تستجيب اليه عروس أحلامه وبطلة روايات تدور في خلده .

هذا الفراغ ملأته فوزية نعيم الممثلة في فرقة « النهوض التمثيلي » .

❁ ❁ ❁

ظهرت فوزية نعيم في الفرقة كما تظهر الفقاعة بعد المطر . أتى بها الشيخ اسماعيل الصدراتي ، المدير الفني وصاحب ادوار البطولة في الروايات الكلاسيكية . وزعم انها زوجته . كان استعدادها الفني محدودا . فقد أرهق الشيخ نفسه في جعل إشاراتها طبيعية فلم يفلح ، واجتهد في مقاومة يديها اللتين تبدوان شيئا زائدا في جسمها كلما مثلت فلم تهتد الى ما ينبغي ان تفعل بهما . وكانت طامة الملقن العظمى . انها عسيرة الحفظ عصية . ان لحنت تمسكت بلحنها فلا يجدي تصحيح الملقن ، وقد يتمكن احيانا من تقويم لسانها الذي ينطق الراء غينا ، لكن على المسرح تنطق كما قررت هي . وكذلك ان انفعلت يغلب الطبع فترجع الى لثغتها .

تاتي النادي صحبة الشيخ سافرة وتشارك في التمارين بمرح ونشاط . ويلذ لها اللعب بعواطف الرفاق ، تبتسم لهذا وترمقه بعينين حلوتين تتركانه يحلم . وترجو ذاك ان يمد لها شربة ماء بنغمة توسل واغراء لا تقاوم . بل يتمنى المرجو لو يرضيها في اكثر من ذلك ، ان امن عيون الشيخ الخضراء لانهم يحترمونه ويخشون شره . فانه انتهر احدهم مرة ، لما سمعه يخاطبها باسم لطيفة . وقد كان الشيخ يسهو احيانا فيناديها بهذا الاسم . وبمجرد ما تفهم من مخاطبها تقربا مريبا ، تلطم بكلمة او نظرة تعيد بها الاعصاب الى هدوئها . وان جاءت اللطمة اعنف مما تقصد ، فخيم الانقباض والفتور على الجو فسرعان ما ترجم الى اغرائها وتوسلاتها ، تضمخ صوتها بالحنان والرقة وتبالغ في لثغتها لتسأل انفه الاشياء : ما هي الساعة ؟ اوهل تقرر الروسيني ام تياترو ابن كاملة لاخراج الرواية الجديدة ؟ او :

ـ شبيه ، وخيتي ، جسونه عاقد عبستو ؟ انت غضبان ؟ نشطح لك شويه باش تزهى ؟

فيعود الانشراح والانبساط

وكانوا يتكلفون عدم الاكتراث بها . ويذكرون فيما بينهم قصورها وبعدها عن الفن .

وتغيظهم هي باعتدادها بانوثتها وعدم جدوى غزلهم معها واستخفافها بملاحظاتهم الفنية ، ولعمري ان سلهبة اعضائها وتخزومتها وحسن استدارة عضديها وثدييها الرخامية البضة واشاراتها الساذجة ، كل ذلك له من الرشاقة الطبيعية ما يزري بقواعد فنهم .

يسر الواحد منهم لصاحبه سخرية بها او ملحة من غلطاتها على المسرح او هنة من جهالاتها . فان وقع منديلها يخف لالتقاطه وتقديمه اليها ، مستجديا كلمة شكر او نظرة عطف . لا يسلمون ولا يقرون لها بالجمال . نعم ، لا تقال فيها انها جميلة كما تراه المجلات والخاطبات والمتعارف عند النحاتين الاغريق ، لكنها شهية ، وهذا لا يقال وانما يدرك ويخفى .

اختلفت فيها الآراء ، منهم من يزعم ان الشيخ اجتلبها من « برارك » الحلفاوين ومنهم من يزعم انها من بائعات الهوى في الشوارع ومنهم من يفترض انها ارملة شابة تشتغل بالتمثيل كما تشتغل غيرها بالخياطة او « الكبوس » .

❀ ❀ ❀

قبل ظهورها في الفرقة باربعة اشهر ، التقى بها الشيخ في ليلة من ليالي الصيف بمطبخ في سيدي مردوم .

تشاجرت في تلك الليلة مع خليل لها عقدت عليه بعض الامل فتركها وخرج . فاستمرت وحدها تشرب وتمدي بالفول وتنظر الى الطوابل العامرة بالسامرين يتناولون السمك البوري والبريك والقناوية ومرق الدجاج .

وكان كل مجلس في لهو عن غيره . لا كلفة ولا مراقبة . بعضهم في جلبة صاخبة وبعضهم في هدوء ورقة . واختلطت رائحة الخمر والدخان والاطعمة الشهية فاكسبت الجو حدة وحرارة . ورفع احدهم عقيرته بأغنية رائجة :

يا زارعين الفل فوق عليكم
مكتوب ربي جابني لديكم

وشبان يودعون صاحبهم الذي حصل في العسكر وهو ثمل ينشدهم :

يا أمي علاش تبكي عليه
وأنا مسافر للعسكرية

وجماعة يتوسطهم مغربي في لباس السفر وبحذائه امتعته وهم يسألونه ويسمعون منه وقد لعبت الخمرة برأسه وجعل يقص عليهم بحماس وتأثر . سأله احدهم :

ـ وكيفاش قلت عم الحاج ، بالله عاودها .

ـ ماني قلت لك يا ولدي هذيكه تكون آخر كلمة تقولها في تونس كيف نشد باب عليوة .

- هاك محسوب توه في باب عليوة، ماك الليلة قاصد ربي ؟

- ايوه . هاذوك القش والعمال على الله .

- بالله يا عم الحاج قولها .

تنحنح المغربي وبدأ ينشد وقد انتبه اليه السمار فصمتوا :

تبقاي بخير يا مدينة تونس
بهجة المدن بالتمام
فيـهـا دق الغـــرام
وانـزل فيهـا الرسـام
راسمـو
تعجبوني بنـات تـونس
حَنّيني يـوشمو وشام
م الرقبة حتى الحزام
يعطيو القول ما يغدروا
هـاكي لا يوالفـوا

* * *

تقدم الليل واخذ الناس يغادرون المكان وحاسبت آخر جماعة الغلام اليهودي وخـرج الجميع يترنحون : يشعلون سواقرهم ويخللون اسنانهم، وبدأ الغلام يكنس ويرتب، ولم تبق الا هي ورجل يستفرغ بقية زجاجة وامامه لحم مشوي . فلم يكن مناص من التقاء عيـونهما . اطـال الـرجل النظـر اليها وزمجر .

- أجارتنا! انا غريبان ها هنا
وكل غريب للغريب نسيب

تفضل . . . والا نجـي بحذاك قعدنا وحدنا . عاد ماو نونسو بعضنا خير واخذ معه مايصلح في مائدته واقبل عليهـا .

- ما تتحرجيش مني . هك تشوف منيش وليد صغير هاني شايب مهلوك . كان ظهرلك نونسك ونكمـلو نشربو ما كتب وتشكيلي بهم قلبـك . كان ظهرلك نشيعك وين تحب كان ظهرلك نمشي على روحي .

- اقعد مرحبا بيك

- تقل لك انا شكون باش يطمان بالك وانت موش لازم تقل لي شـيء انا يا للا اسماعيل الصدراني . . . .

- انت اسماعيل الصدغاني !

- اي نعم يا للا انا هو اسماعـيل الصدراني امتاع التياترو ، انا هو . . .

وانهمر يقص عليها حيـاته الفنية وعظمته وادوار البطولة التي قام بها وانه شقي اذا خرج من عالم التمثيل ودخل الحياة الواقعية . يشعر بانه اجنبي عنها . لا اسرة له ولا بيـت ولا اصدقاء . يقضي اكثر اوقاته في المقاهي والحانـات واذا غلبه النعاس يتجـه متـثاقـلا مختـل الخطوات الى مسكنه بباب المنارة، فينكب هناك الى الصباح . لم يتفق مـع امرأة ولا رجل فهو يعيش على الهامش .

سكت برهة واخذ الزجاجة فوجدها قد فرغت فسألها الزيادة. أومات ان نعم وشرع في مطرادة طويلة يبثها ما اختزن في صدره من ظلم الحياة. وهي تصغي اليه وقد رقت لهذا الشريد العظيم، واحست بشبه في حياتيهما واعجب هو من حسن اصغائها وصبرها على الكاسات. وتمت ليلتهما في العلو الصغير بباب المنارة. وقد خلس الشيخ شمعة في طريقه من للامنارة ليستضيئا بها.

وللا منارة كما تعلمون هي طاقة في الجدار داخل الباب العتيق يعتقد العامة فيها البركة وهي لا تخلو من بخور وشمع تضعه العجائز هناك من باب النذر.

نهضت من الغد عند الضحى. فوجدت نفسها في العلو بمفردها. افاق الشيخ قبلها، فاشترى لها فطيرتين وجدتهما في صحن على الطاولة وخرج.

قامت تستكشف المسكن ومحتوياته.

هو علو مقام على ما كان سورا للمدينة، فوق دكان حلاق، به حجرتان تنفذ احداهما الى الاخرى، ولكل حجرة شباك يفتح على بطحاء باب منارة.

تجولت في الحجرتين واطلت على المرحاض وبه سبالة؛ فاصلحت من شأنها وافطرت، ثم اخذت ترتب وتنظف، ودارت دورة المراة المقدودة، فسوت الاعلانات التي تقوم مقام الصور على الجدران، وابادت مستعمرات من البق وجدتها، ونفضت وغسلت وكان العلو صغيرا محكما لا يكلف كبير مشقة في ترتيبه، ثم استندت الى النافذة وبقيت تتفرج

اشرفت على بطحاء باب المنارة الرحبة الجميلة، الحية حياة تونسية صرفة.

رأت الدوحة الهائلة التي تملا الجهة العليا خضرة قاتمة وزقزقة، ومنها تنحدر البطحاء الى نهج السكاجين، كانت الشمس تغمرها، والناس في ثيابهم الخفيفة الزاهية يدبون في انحائها مجدين.

رأت رجالا واطفالا يزدحمون على دكان «الفطايري» يمدون نقودهم ويصيحون طالبين فطائرهم. وصاحب الدكان متصدر امام طاجينه، يجس بين أصابعه المبللة قطعة العجين ثم يلقي بها - مستديرة - في زيته الحامي فيقوم لها طشيش وفقاقيع محرقة، ثم يكيل عليها الزيت حتى تحمر وتستوي فيرفعها بسفوده، ويوكل امرها الى وزيره الواقف امامه على جذع. وهذا يوزع الفطائر على أصحابها بعدل عمر، الاول فالاول.

رأت التجار يلجون السوق المظلم، المدسوس بالزاوية الشمالية الغربية، خلف الدوحة كأنه نفق، مزدان بمعروضات السراجين المطرزة. ومنهم الداخل من القوس او المنحدر الخفيف

الى السكاجين او الصاعد المجهود الى ربوة القصبة .

بقيت تتبع ما يجري في تلك البطحاء.

خلبها العالم البديع الذي يزغد في ظل الشجرة العظيمة . هناك سبالة تجري بماء بارد زلال ، وضريح مجاهد من الذين القوا بالاسبان في البحر ؛ وهو ببابه وقبته من الصغر كأنه لعبة . ناهيك ان الواقف يستطيع ان يمس قمتها ، وبين القبة والسبالة درجات اربع ينتهين الى كتاب ودكان سراج .

ينتشر الصبية في الظل والماء ، على الدرجات والقبة ، يلعبون ويمحون الواحهم ويتشاجرون ويمكرون بعضهم مكرا بريئا فكها .

وتنبعث اصوات الآخرين من الكتاب بالقرآن الكريم ، شجية موزونة في حماس يأخذ بالالباب .

رأت براوطي يدفع - بسواعد قوية - بروِيطة مثقلة بالغلال . توسط البطحاء ووقف ينضد فواكهه ويغني عليها بصوت رخيم رتيب ، فجرى نحوه صبي من اولاد الكتاب ، فمسح له أنفه وقبله وأعطاه تفاحة بعد أن مسحها بذيل « بلوزته » ورجع الطفل الى زمرته .

رمقته وتمنت لو كان لها بعلا .

وكانت هي امرأة بيت ، ولها ولد مثل ذلك الذي رجع يمحو لوحه مع رفاقه .

ثم يذهب ، فيتدخل بين ارجل الناس الواقفين على الفطائري ، ليجففه عند التنور .

وتكون هي في عقر دارها تعد الغداء وتتفنن في تطييبه لتنال اطراء زوجها ورضاه ، وتنتظر دخول ولدها من الكتاب فرحا متهللا ، في وجهه نضرة . ثم تستقبل زوجها وترفه عنه وتحنو عليه .

غير انها ليست كذلك .

لها بنت لا تدري بالتحقيق من ابوها . وليس لها زوج . هي للجميع وليس لها احد .

طلبت نفسها الاستقرار ، وملت مفاجآت الليل .

أخذت بهذه الحياة البسيطة السامية ، وخطرت لها حياتها الدنيئة الخارجة عن القانون . فرجعت بها الذكرى الى خمسة عشر عاما خلت .

❀ ❀ ❀

رأت نفسها صبية في العاشرة من عمرها . وكان اسمها اذ ذاك منوبية ، نزحت اسرتها من المنزل . الى تونس الخضراء وسكنت حومة الجبارة .

وكان أبوها يعمل بناء . ولما تقدمت به السن ويبست أعصابه فلم تعد تطاوعه على تسلق السلالم ومسك توازنه على حافات السطوح ، قبع في دكان يبيع مواد البناء ، ثم مات .

اشتغلت الام وابنتها بغسل ثياب

العطارة؛ وهؤلاء قوم أولو جد وعمل، يقدمون من بلادهم جربة ويعكفون على تجارة المعاش، بعيدا عن اهلهم السنين الطوال. وكانت جماعة منهم يختلفون الى دار الام بية ويتقربون بالهدايا الطفيفة لتعطهشم الى البيوت ورفاهيتها والمرأة وشذاها. فتصنع لهم طعاما من حين الى حين وتخفف من وحشتهم في خفاء وصمت.

وقعت منوبية مع احدهم، ولم تعلم قيمة ما قدمت الا بعد ان تولى عنها، ولم يعبأ بها وحسبها اكلة من جملة اكلات صودمت في عواطفها وكتمت امرها.

هيهات! لو تمكن الاعادة، لكانت تعرف كيف تبيع عفتها غاليا. لكن فاتها، وبقيت حاقدة.

وطنت النفس على ان تستثمر ما بقي باغلى الاثمان.

ومرت الايام. ولم تجد دائما الثمن الغالي. الى ان سنحت فرصة مع كهل من بني عمومتها، كان يقدم الى تونس من وقت الى آخر في شؤونه الفلاحية وجعل من دار الام بية محطا لرحاله.

احتجبت منه اول الامر. فلم ير منها الا لمحات عرفت كيف ومتى تظهرها، كانت كافية لامتلاكه. ثم تدرجت معه وسلطت عليه فتنتها واغراءها واستعملت من الاحتشام والدلال والتجني ما أذهب لبه. تمتنع من مقابلته احيانا إلّا من شق الباب، وتقبل عليه احيانا، تمازحه وتلبس «قشابيته» الخشنة، وتغسل له رجليه بالماء الفاتر في الشتاء، وتقدم له من الوان الاطعمة ما يلاطف معدته الغليظة. وانهال عليهما بالتاي والكاكوية والحلوة الشامية والفاكهة والعطورات وتقارط الحرير للام بية.

مرت سهرات في غفلة من الزمان اذاقته من سلافها، متصنعة الغلبة والقهر امام فحولته العاتية. وتعاقبت زياراته الى العاصمة وتقاربت بحاجة وبدون حاجة.

قدم يوما محملا، كالعادة، بالبيض والدجاج والزبدة والجبن ومختلف اطايب البادية، فاستقبلته الام بية، وعبثا قلب عينيه في انحاء المنزل فلم ير منوبية.

قامت العجوز توثر له الفراش وتطعمه ما يشتهي وتسابق شهواته، لكن هذه الزهور واين العبير؟ في النهاية لم يصبر وسأل:

- و ينى منوبية؟

فتلكأت العجوز ثم قالت له بغاية اللطف.

- يا سي عمر انت عاقل، وتبارك الله عليك ما يخصك شيء، ووخيتك منوبية يتيمة وما عندها كان وجه ربي. جيتك عزيزة، مرحبا بيك في كل وقت.

على الراس والعين . اما ماتخفيش عليك: تعزينا في الافام والناس ما يخليو حد في راحة . علاش ما تكتبش صداقك عليها . هي بنت عمك وما تعلا عين على حاجب ، وكانك في المنزل بدارك وكانك في تونس بدارك ، تباركالله عليك ماكش خصيص ، وربي حللك اربعة . وكان تحب موش لازم تسمع ام اولادك ، كيف ماقالوا يرحمهم ميات صداق ولا زلة.
وكتب صداقه
وكانت اقامته مع زوجته الجديدة خلسات تفرق بينها اشهر طوال .
رجعت منوبية في تلك الاثناء الى عطارها وغيره ممن يشتهي قلبها .
قدم مرة فلم يجدها . فالح في طلبها . فاضطربت العجوز واعتلت بانها مريضة وانها في دار احباب لها . ولما ارعد وهدد قدمت وبعينها رضة زرقاء . قالت - لما سألها - انها وقعت في الحمام .
والطرق يحاول ان يتصور كيف تصاب العين من كبوة في الارض ! واذا بالباب يطرق فسمعها تهمس :
- قل لو مكبوب السعد هوني .
كأنه أفاق من سكرة . تراءت له التكاليف . وفطن لتحول عيون المحبة والولة التي عهدها الى ازدراء وتأفف . واستحضر في ذهنه ما سمع من كيد النساء .
فطلقها وفاز بنفسه وتركها حبلى بنت اسمتها على بركة الله رفيعة .
أسفت على ذهاب سي عمر لاعتبارات صورية . ثم قبلت ما آلت اليه كنتيجة حتميه لسيرتها . وارتمت في حياتها الجديدة بمرح وطرب .
. . . كن جماعة مثلها يجتمعن عند قهرمانة ينادونها « أمي » وهناك تسمت « لطيفة » . وكن يتفاخرن ببهاضة اجورهن وبراعتهن في « تكسير الوجوه » .
طافت بالشطوط والاوتيلات . وذاقت من الصنعة وحلوها ولم تكن تدري : أهي الحاجة التي تدفعها في هذا السبيل أم هو توق ؟
ذهبت مع الكبير والحقير والحسن والقبيح ، وضحكت ممن تعلق بها ، وبكت ممن تركها ، ورأت ميولا مختلفة . احبت بعضها وكرهت بعضها ووقعت في مواقف حرجة ، وقضت سويعات حلوة . وكانت تخاف الاخطار وينخلع قلبها عند العربدة او المصادفه السيئة . فركنت الى ملازمة الحريف الطول مدة ممكنة .
وهكذا عرفت رابحا . . . لكن صروف الليالي كانت تقلب عليها هناءها ، كلما انفتح قلبها لاحد : منهم من تمنعه ظروفه ومنهم من لا يأبه بها ومنهم من يريد استثمارها الى ان التقت بالشيخ في مطبخ سيدي مردوم .

...اصوات الصبية تنبعث من الكتاب شجية موزونة ... ما الذي القى بها الى ههنا ؟ صدف الليل والشارع ... الشيخ في منحدر العمر وهي شابة غضه ...

خنقتها العبرة فابتعدت عن الشباك واخفت وجهها في منديلها واطلقت العنان لدموعها، فبكت بغزارة حتى استراحت. ثم اخذت « الكارطة » وجعلت تسوي الورق بإزاء بعضه . ثلاثة اسماط ، في كل سمط اربع ورقات . ثم انحنت معتمدة بوجهها على جمع يدها، وراحت تسائل الصويرات عن مصيرها وتطبق ما رأت على حالتها : هناك كسب في بيت سيأتي في طريق الليل، الفرح يعم الجميع، إلا سيد قلبها، فهو معرض عنها، بينه وبينها ورقتان : حمراء وسوداء . ثم جمعت الاوراق وضربتها واعادت الترتيب واطلعت : فرح بين المرأة والرجل ، الغريمة متغيرة في دار الخمسة ، هناك مال في طريق النهار ، سيد قلبها في سمط اخر . وضربت الورق واعادت الترتيب ثالثة : غيار عند سيد القلب، فرح في دار الآخرين .

وتمادت في لهوها هذا ...

عاد الشيخ في الظهيرة . فوجد نظافة وترتيبا ووجها حبيبا يستقبله .

ـ أملاك بين يدي أم بشر ؟ ترى جاءت حواء لتؤنس آدم في وحشته .

وضمها الى صدره ثم ابعدها بيديه ونظر اليها وقال :

ـ من انت؟ ومن اين اتيت؟ وماذا تريدين ؟

ـ ما وقلت لي ما تشدنيش . خل الدنيا هكاكه .

وترك الدنيا كذلك . وأراها مفتاحا ثانيا للباب عسى ان تخرج، لانه عدو الضغط على الافكار ، اجابت :

ـ وين عندي نمشي .

ومرت الايام . قال احدهم : للنساء ان يعطين مالا يملكن ، يعطين السعادة للرجال وهن شقيات . يلتمسن الفتنه فلا يجدنها .

وجد الشيخ ما لم يتعوده : حنانا وعطفا ودفئاً . وخيل اليه انه يمثل رواية فيها من الواقعية ما ليس في الروايات .

قام بدور الزوج المثالي . يعود الى البيت في اوقات مضبوطة وينشر بين يديها الحلواء والفاكهة واللوبان والسواك وما الى ذلك مما يطرب المرأة وهي عنده كالطفلة الصغيرة يفرحها ليفرح . يقضيان سهراتهما في صفو خالص : الشيخ يقص مغامراته وهي ترتق له القميص او تعد التاي او يلعبان الورق او غير ذلك مما يروق لهما .

دخل يوما فلم يجدها . فابتسم بمرارة وخطر له اول وهلة انها سرقته وانصرفت وانتهت الفذلكة . فالقى من يديه ما كان بهما وبادر الى درج كان يضع فيه دراهمه . فوجدها كاملة .

جلس على مقعد وجعل يفكر ويجيل بصره . كل شيء نظيف مرتب لم تسرق الدراهم . وذهبت! هل انتهى الحلم ؟ لماذا ؟ يا خسارة! كاد ان يكون سعيدا .

خرج واضاع الوقت كما اتفق له وابطأ في النادي ومر على الحانة ولبث يعاتب نفسه ويقرعها .

ما اسرع ما يألف المرء لين العيش والسعادة ! ما له كالفطيم ؟ عليه ان يعتبر الستار قد نزل ، وانه عاد الى سيرته الاولى!

امتدت امامه عدة قوارير فارغة ورجاه صاحب الحان ان « سامحني باش نقفل » .

قام يترنح ورجع متثاقلا الى العلو .
وما كان اشد سروره لما رأى النور من النافذة .

طلع ، فوجدها نائمة كالرضيع . انفاسها هادئة . جلس عند رأسها وطفق يبكي ويلاطف شعرها حتى استيقظت فابتسمت له وجلست .

ـ اللطف عليك ، آش بيك تبكي؟
ـ نبكي على العملة اللي عملتها بيه .

اجهدت نفسها ليستقيم نطقها وقالت :
ـ على خاطر خرجت ؟ ماك قلت لي .
ـ لا ، انت حرة . اما سنستني بروحك واشنيه الآخرة ؟ لازم باش تمشي . لواش وريتني الهناء والسعادة . خليتني في همي . ما عادش نصبر عليك . نعرف هذا هبال من واحد كيفي . اما آش نعمل ؟ نصبر . وكيف ما عديت خمسين سنة وانا كيف التبيب نعدي البقية . انا حلفت ما نسألك على حتى شي اما تحبش انت تقل لي ؟
ـ عاد اشبيه؟ علاش ما تقلكش؟ مشيت لدارنا نطل على بنتي .
ـ عندك بنتك ؟
ـ اي نعم .
ـ واش عجبك فيه قاعدة عندي ؟
ـ آش بيك بكلك تعجب .
ـ توة الاتفاق ما تشدكش على ماضيك . طيب . ومستقبلك آش ناويه تعمل . عندك بنتك مخليتها وقاعدة عندي لواش ؟
ـ اللي يحبك يموت ؟
ـ خلي من كلام اللعب .
ـ شوف . آش شكيت لي ليلة اللي تلاقينا . قلت ما عندك حد لا مرا ولا ولاد وبيتك ظلام وانت غريب . هاني مرتك وبنتي بنتك وانا اهلك وتلها بيك ونسيغ في رضاك تحبش ؟

- هذا ليه وانت آش حاجتك بيّه .

- انا حاجتي براجل يدخل عليّه ويخرج ويجيب لي خبزة ناكلها انا وبنتي .

- وتظنني من اللي يجيو يجيبوا الخبز ؟ هاك ريت . رواية نربحو فيها تجيني هاك الميتين ثلاثة واربعة وخمسة نخسرو فيهم . والقفه والدبوزة كل يوم .

- عاد اشبيه ماني نخدم الشغل .

- اسمع يا بنتي . انا راني خالطت ياسر وريت ياسر وما نيش نرضع في صبعي . اذا حاجتك باش تتغطى بيّه وتعمل اللي في بالك راك غالطه ياسر وقت اللي انت ما زلت ما تخلقت انا شكون يعرف عليّه . صاحبت وصاحبوني ورايتهم انواع واشكال وانت وين تعرف عليك اشكون متبّعك بالك حد يلوج عليك ؟ بالك هاربه على راجلك تعدي بيّه وقت ومن بعد تخليني . ما نحبش اشكون يلعب بيّه .

- ماو قلنا اللي فات مات ما عاد فيه حساب . تساوه واتهنا اللي قلت الكل ما ثماش .

- ها الطفله منين .

- من راجلي يا غلبه ! طلقني توة عامين .

- وعندك طلقتك ؟

- غدوة نجيبها لك تقراها .

- ووينو توة راجلك ؟

- ها البحث باش تعمله لي . مشى لبلادو في المنزل .

- هذا موش الماضي . هذا المستقبل آش يظهر لك ؟ لو كان تطلع هاربة من راجلك ماو يحطوني في الحبس . وانا ما نيش خايف من الحبس اما نحب عشرة صحيحة . انت تلقى فيه اللي تحب . وانا نلقى فيك اللي نحب . ما تعمل ليش قرون .

- اتهنا يا سيدي هذاكه شيء وفى ومات . اللي حاجتي بيه هي بيت وراجل ساتر بي .

- عفارم ! أما لو كان نطيح لك بحاجة ... شوف سهم كرطوشة انت في الجبانة وانا في الحبس .

* * *

انتقل الشيخ الى دارها . واصبحت له اسرة كما يشتهي : امراة وبنت ونسيبة وبطبيعة الحال اخرجها الى التمثيل واطلق عليها اسم فوزية نعيم واعتلت خشبة المسرح في ادوار صغيرة .

قد تحدّث نفس بعضهم بالتهكم عليه والنظر من قريب اليها غير ان له في شراسته وماضيه ومغامراته ما يردع

فما كان ليتحاشى العنف وكان يطلبه في شبابه . كلهم يتهيبونه ويخشون شره

وهكذا دخلت لطيفة التي كان اسمها منوبية وصار الآن فوزية ، هكذا دخلت الوسط الفني تحت رعاية الشيخ وحمايته .

طابت لها حياة التمثيل ووجدت ما تصبو اليه من لهو ومرح واعجاب الجماهير وتصفيقهم والاتصال بطبقة راقية من اهل الفن مما وافق غرائزها فهي مثل « المنيار » الذي فضل القفص ، يصفر ملء حلقومه ويقفز في ارجائه وينقر من لباب الفاكهة الملتصقة بالقضبان تحت رعاية صاحبه : الحشايشي الفنان .

اخلصت لحياتها الجديدة وباركت تلك الليلة ، ليلة سيدي مردوم حيث لفظتها المحنة .

وتعلقت همة الشيخ بان يعطي درسا في الزوجية موضوعه : التوفيق بين المدنية الشرقية المحافظة والمدنية الغربية المتطورة في وقت كانت هذه الافكار على بساط الجدل في النوادي والمجتمعات .

في مصر رفع قاسم امين راية الدفاع عن المرأة وفي تونس كان الطاهر الحداد يتوحم بكتابه «امرأتنا في الشريعة والمجتمع » فكانت الموازنة بين محاسن كل تربية ومساويها . امتازت عندهم الشرقية بطاعتها ولطفها ورقتها وحيائها وامتازت الغربية بالكيس والذوق ونظام البيت ومشاركتها زوجها في حل مشاكله والخلاصة ان الشرقية اشبه لبعلها والغربية رفيقة لقرينها .

ورأي الشيخ - الذي يستهدف معارضه لاعنف « طرادات » السخط والاحتقار - هو ان تكون المرأة شرقية ليلا وغربية نهارا .

وعلى هذا الاساس قامت العلاقة بين الشيخ ولطيفة . لها ان تخرج سافرة متى شاءت ، فاستعملت هذا الحق باعتدال وبررته بالشغل اذ انها اتفقت مع بعض المغازات على خياطة الثياب

لمحت الشيخ مرارا في غدوها ورواحها فيدعي انها الصدفة وتفهم هي ان نفس عطيل تحت الفلسفة التقدمية فكانت حذرة لبقة .

اعلمت من لقيها من معارفها بحياتها الجديدة وحذرتهم من مخاطبتها في المستقبل وان الماضي قد دفن ... الا رابحا ...

فإليه ذهبت لما افتقدها الشيخ في علو باب المنارة ...

... وكانت معجبة بالشيخ وتحبه حقا وتخشاه . فقد تصادمت حدته وحدة أمها فارسلتها الى المنزل إرضاء

لہ ، وكان يهددها بالانفصال والرجوع الىعلو باب المنارة كلما أشكل عليهامر . لكن في قلبها صبوة كلما تعذر إرضاؤها استعرت . نظرت حولها فوجدت في سليم جدا ورصانة ، فلِمَ لا ؟

ظهرت في الفرقة الى جانب دليلة أشــواق ، الممثلة الاولى عند ابتــداء الموسم في الخريف؛ فكانت محور بلاط من الشبان والمعجبين .

كانــوا حول فوزية يحومون كالنحل على الــزهرة النــدية وحول اشواق يسوجون كرجال الحاشية .

احستاشواق . وخشيت المزاحمة .

ولم تخــل المودة بينهما من شوائب ، ونظرت الى هــذه الدخيلة شــزرا من علياء مركزها الفني ، وجــرّت عليها ذيــول الملابس المترفة . فلم تجــد لشحنائها صدى . بل احتملت فــوزية غطرستها وكبرياءها بطيب خاطر ولم تفكر في مزاحمتها واختارت بجانبها مكانا صغيرا مُمّحيا . معترفة لهــا بالتفــوق تاركة لها إعجاب المعجبين بفنهاومقدرتها في ادوار الملكات والخليلات ، مقتنعــة اشواق ولانت بينهما العلاقة ، لكن لم يكـن في إمــكانها ان تغفر لها احتكار إعجــاب المعجبين بها إعجــابا من صنف آخــر !

توفرت لدىسليمظروف مؤاتية: جواره لها في السكنى بحي باب الجزيرة واستجاب الشيخ له . فزاد في مكايدة الجماعة بالتقرب منه وإعجابه به واكباره لفنہ وعلمه ومساندته لہ فيعنادہ وتعنته فيالتمارين والمباحثات المسرحيةوالادبية والسياسية . فان بدا من الشيخ عوج في ملاحظاتہ ، فتـألب عليه الممثلون ، ينجــده بانہ قــرأ في بعض المجــلات الفرنسية او الكتب ان « سلفان » او « موني سوللي » كان هذا رأيه. فيطرح الشيخ ويؤكــد عليه في إحضــار الحجة ليدمغ بها المكابرين . وكان يستدعيه ن حين الى آخــر الى مرافقتهما في الكروصة . ممــا أثار حسد الجماعة وتهكمهم خاصة ولم يكن من الذين تهافتون على التقاط منديلها اذا ماوقع، م ، لا سبيـل الى نكران استعدادهما الطبيعي: هي للاجتذاب وهو للاندفاع .

حول "التأليف والترجمة والنشر"

بقلم الدكتور الطاهر الخميري

الكلمة التي نشرت في العدد الاخير من هذه المجلة تحت عنوان « الجوهري قبل العرضي » تتيح لي الفرصة لتوضيح بعض المسائل المتعلقة بموضوع التأليف والترجمة والنشر .

١) لماذا لم يقع انجاز ما من شأنه ان يبلور عناصر ثقافتنا الوطنية في صورة قصص ومسرحيات وكتب تاريخية ونظريات فلسفية ؟

لان العناصر غير موجودة ..

لتونس شخصية دينية تكونت في مئات السنين يمثلها اليوم جامع الزيتونة ومن بقي منتسبا اليه من خريجيه، وهي شخصية بارزة معروفة ومعترف بها في الاوساط الدينية الاسلامية وغير الاسلامية .

ولتونس شخصية سياسية تكونت في عشرات السنين تمثلها الحكومة القائمة والمنظمات القومية ، وهي ايضا شخصية بارزة معروفة باتجاهاتها ومواقفها ومعترف بها في الاوساط الدولية .

ولكن ليس لتونس شخصية ثقافية بارزة يمكن ان « نبلور عناصرها » .

اذا ذكرنا العلم فهو شهادات رسمية من معاهد اجنبية لا يراد بها الا الحصول على عمل يليق بالمقام .

واذا ذكرنا الادب فهو - باستثناء ما يعد على اصابع اليد الواحدة - تلك المترجمات الضعيفة والمقتبسات الظاهرة والمستترة ، والا فهو « عايشة القادرة » و « مجنون ليلى » وكمية ضخمة من شعر المناسبات ، وليس في ذلك ما يحتم التعجيل بالترجمة الى اللغات الاجنبية ، او يرشح للحصول على جائزة « نوبل » للادب،واذا ذكرنا الفن فهو المألوف الاندلسي والموشحات الشرقية والحان الرقص الاسباني مزينة بالمشهور من الحان عبد الوهاب وفريد الاطرش، هذا والا فهو

« بخنوق بنت المحاميد »و« العين تحب » وبقية ما نسميه بالاغاني العتيقة. ظهرت في السنوات الاخيرة بعض بوادر الاستقلال في الغناء والتلحين وشاركت تونس لاول مرة في مؤتمر دولي للموسيقى وهي بدايات تبشر بالخير ولكن لا يصح اعتبارها عناصر ثقافة تونسية موجودة ولا ينقصها الا التبلور . ابن خلدون والشابي ؟

اما ابن خلدون فان الاختصاصيين في الشرق والغرب قد قتلوه بحثا وتحليلا ووضعوه في مكانه اللائق به من تاريخ العلم ، وفي هذه السنة يخرج الاستاذ *Rosenthal* ترجمة انكليزية لمقدمة ابن خلدون نرجو بعدها ان ندخل في فترة استراحة نستريح فيها من ابن خلدون ومن التبجح بمقدمته، والا فانه سيقوم من يقول لنا ان ابن خلدون انما حصل على اختباراته وملاحظاته في الجزائر والمغرب الاقصى وتثقف بثقافة اجداده العرب الاندلسيين عن طريق الدرس والمطالعة ، وانه ليس له من تونس الا حادث الولادة .

اما الشابي فليس من المستبعد ان بعض مؤرخي الادب العربي سيضعونه في الطبقة الاولى من شعراء المهجر ويقولون عنه انه ولد في تونس كما يقولون عن خليل جبران انه ولد في لبنان .

ان بلورة عناصر الثقافة القومية لا يكون بالرغبة والتمني ، ولا يكون بالاصرار والالحاح وفرض النفس ، لا يمكن ان نبلور « لا شيء »، هنالك شروط لابد من توفرها ، منها وجود نخبة من ذوي التعليم العالي في ظروف تساعد على البحث والانتاج ، وهذه النخبة موجودة اليوم في تونس ، ولكن الادارة ابتلعتهم كلهم . هذا من حسن حظ الادارة ومن سوء حظ العلم والادب ، قامت جمعية قدماء الصادقية ومجلة « المباحث » بمحاولة في هذه الناحية فجندت اقوى العناصر الموجودة يومئذ وكانت تنجح في تكوين شخصية ثقافية تونسية لو كتب لمجلة « المباحث » طول البقاء ، واليوم تقوم جمعية قدماء الصادقية ومجلة « الفكر» بنفس المحاولة وتلاقي في ذلك اشد الصعوبة بسبب الفراغ الذي احدثه انتقال النخبة الى الميدان الاداري .

ومنها وجود جامعة قومية ذات كليات ومكتبات متخصصة ومراكز للدراسة والبحث ، وليس في تونس اليوم شيء من ذلك .

ومنها وجود العقلية العلمية او المزاج العلمي او الميل الخاص للعلم بالمعنى

المصطلح عليه في هذا العصر ، وهذا ايضا لا يزال نادرا عندنا ، اكثر ميلنا للادب والفن وما سهل من العلوم النظرية ، اول تونسي فاز بشهادة الدكتوراه في العلوم السيد عدنان الزمرلي وقد اعلنت عن ذلك الجرائد المحلية في اوائل هذا الشهر شهر نوفمبر من سنة ١٩٥٨ !

٢) لماذا لم يتم نشر طبعة « محققة مضبوطة علمية » من تاريخ ابن ابي الضياف في مدة سنتين ؟

الجواب يحتاج الى التعريف بتاريخ ابن ابي الضياف :

الكتاب في اربعة اجزاء كبيرة ، والاقسام المهمة منه تبحث في علاقات تونس الخارجية قبل الحماية ، فالرجوع الى تاريخ تركيا وايطاليا وفرنسا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر عمل ضروري ، والكتاب يحتوي على وثائق رسمية مترجمة عن الايطالية والفرنسية والانكليزية وبعضها لا يفهم الا بالمقابلة مع الاصول المترجم عنها وذلك لضعف اساليب الترجمة الى العربية في ذلك العصر، والمؤلف يكثر من استعمال الكلمات العربية بمعناها التونسي الدارج مثل « طريق » بمعنى نوبة او دور و « خطية » بمعنى غرامة مالية ، و « تنزيل » بمعنى تجنيد ، و « تعليم » بمعنى استعراض الجيش او تمرين عسكري و « صحح » بمعنى امضى ، و « تمكن به » بمعنى القى عليه القبض ، و « سلم فيه » بمعنى تركه او تنازل عنه الخ . بعض هذه الكلمات يمكن فهمه من سياق الكلام واكثرها مما يضلل القاريء الشرقي ويحير القاريء المستشرق والطبعة العلمية المضبوطة المحققة يجب ان ينظر فيها الى حاجة الشرقيين والمستشرقين ، ويكثر من استعمال الكلمات الاجنبية الايطالية والفرنسية والانكليزية وحتى النمساوية والمجرية مثل لفظة « هواديك » ، كما يستعمل كلمات عربية بمعناها التركي مثل « اختيارات » بمعنى شيوخ ، ويستعمل كلمات عربية بمعان يظهر انها كانت دارجة في ذلك الوقت وبطل استعمالها اليوم ، مثل« انفصال» بمعنى اتفاق ، و « نفاق » بمعنى عصيان او ما يشبهه ، و « وجهة » بمعنى مهمة او مأمورية ، و « مادة » بمعنى امر او مسألة او قضية الخ . .

فقاموس اللهجة الدارجة التونسية ماعون ضروري لاعمال التأليف والترجمة والنشر ، وهو مقدم على العناية بالمسرحيات التونسية التي لم تكتب بعد ، وعلى القصص التونسية التي ترجى كتابتها في المستقبل .

وفي الكتاب عشرات من اسماء المؤسسات المحلية القديمة والرتب الادارية والالقاب العسكرية والبحرية والتجارية محرفة عن اصولها التركية والايطالية والفرنسية والقاب شرقية انكليزية يستعملها المؤلف استعمال اسماء الاعلام . كل هذا ينتظر تصحيحه في « طبعة علمية مضبوطة محققة » .

وفي الكتاب اشارات الى عادات وتقاليد تونسية يشرحها المؤلف بقوله : « وهي معروفة » او يتركها بدون شرح ، وهي من الاشياء ، التي صارت غير معروفة عندنا اليوم وتحتاج الى الشرح . فجمع المواد اللازمة لوضع قاموس للعادات والتقاليد التونسية هو من المواعين الضرورية لاعمال التأليف والترجمة والنشر وليس مجرد تقليد للمصريين والسوريين .

وفي الكتاب عدد من الامثال العامية يقدمها المؤلف بقوله : « يقال عند العامة ثم يحاول تقريبها من لغة الكتابة فيفسدها أحيانا ، ولا سبيل ، الى تحقيق ذلك الا بالرجوع الى مطول في الامثال العامية التونسية وهو غير موجود . والاصول المتعمدة من تاريخ ابن ابي الضياف كتبها نساخ معرفتهم بعلم الرسم هي معرفة اولاد الكتاب او طلبة جامع الزيتونة في السنوات الاولى . يكتبون قاض قضات ووال ولات كما يكتبون ثقة ثقات وصلة صلات و « بعد وفات ابيه » و « قد ظل الطريق » و « استيقض عند الضحا » و «تفيأ ضل الخلافة» . وكثيرا ما يتفق الاصلان او الثلاثة اصول على زيادة الالف في ندعو « ونحن ندعوا الله » وفي « تياتروا » و « باردوا » و « موسكوا » قياسا على دخلوا وخرجوا . فاذا كانت الجملة خطها غير واضح وقرائتها غير كافية فان الاحتمالات تكثر والترجيح يصعب

ثم ان المؤلف - مثل اكثر معاصريه - لايعترف بالفاصلة ولا يؤمن بعلامة الوقف ويصل بين اقسام الكلام الطويل بحروف العطف مع الاكثار من الجمل المعترضة وتكرار الضمائر عوض ذكر اسماء الاشخاص ، يحدثك في ثلاث صفحات عن حوار دار بين اربعة اشخاص ويقول في آخر الصفحة الثالثة: «وسأله . فاجابه . فتختلط عليك الضمائر ويصعب عليك تعيين السائل والمجيب وتعيد قراءة الصفحات الثلاث فيتضح لك الامر احيانا ويبقى موضع شك احيانا اخرى .

للاسباب المذكورة - ولغيرها مما يطول شرحه - لم يكن من الممكن اخراج « طبعة علمية محققة مضبوطة » في مدة سنتين .

اما مسألة ابراز « شخصيتنا الثقافية » بتأليف اللجان ورصد الاعتمادات الخ فهي من المسائل التي يحسن ان يعتبر فيها رأي الذين عالجوا هذه المواضيع الى جانب آراء الذين لم يعالجوها بعد .

حبّ الهيام

بقلم عبد الكريم بن ثابت

هـو الحسن يطفـح من وجنتيـــك كما يطفح السحر من مقلتيـك
وارواح عشـاقـــك الهـــائمين حيارى تقلب بين يديـك
تسائلك الصفح عن شوقهـــا أ أذنب من هـام شوقـا اليك

❀ ❀ ❀

هو الحب حبي كحيل العيون قديم قديـم وقبـــل السنون
وقبل المعاني معاني الدنـــا وقبـل الحيـــاة وقبـل المنون
خلقنـــا جميعـا بقوتـــه وكنـا ومن سره سنكـون

❀ ❀ ❀

تـرى يـــا حبيبي أتعرفني محصـا قديـــا وتجهلني
وتسـألني عن هـواي ومـن أحب كأنك تخبـــرني
لمـــاذا أليس الغرام لنـــا فخـــارا ولـوأنت تقتلـنـي

❀ ❀ ❀

حبيبي يـــا ابن الخلود الجميـــل ويا ابن الضياء الكريم الاغر
لقد سكرت برؤياك القلو ب وعربـد في وجنتيـك القمر
وولهت فيـــك اريج الزهـــور وضـوت الطيور ولون الشجر

❀ ❀ ❀

حبيبي لمـــاذا تخـاف الغرام وتخشى افنضـاحي بين الانـام
فما كان حبك يـــا فاتني جديـدا وماكان يومـا حرام
فلست احبـــك حب الهوى ولكن احبك حب الهيـــام

العلاقات بين الشعر العربي والشعر الإيطالي

بقلم الاستاذ سلفاستر ديبوري
تقديم ونقل حسن عباس

هو مستعرب ايطالي من مواليد تونس . مغمور في مسقط راسه لكن اسمه معروف في اوساط المستعربين في العالم اجمع . . .

سمعت بذكره لاول مرة في الولايات المتحدةعند اجتماعي بالعلامة الاستاذ نيكل (*Nykl*) الذي اخبرني عنه ونوه به قائلا: هوشاب نشيط يهيم بالشعر العربي له دراسةجيدة في العلاقات بين الشعر العربي والشعر الايطالي في القرون الوسطى .

. . . واتصلنا ببعضنا في تونس اثناء هذه الصائفة الاخيرة فاذا بالشاب الهيمان بالشعر عملاق عتيل ولو لا هدوء يكتنف هيأته ومجلسه ولمعان غريب يشع من عينيه اثناء الحديث ليخاله المرء من لاعبي « الروغبي » او من ابطال حمل الاثقال . غير ان صاحبنا بطل في ميدان آخر ميدان البحث العلمي الدقيق فهو علاوة عن تحصله على شهادة مهندس في الكيمياء من الكليات الفرنسية الكبرى احرز على شهادة التبريز في الفلسفة والعلوم اللغوية من جامعة كولونيا في المانيا وهو يجيد مع ذلك من اللغات : الايطالية والعربية والفرنسية والالمانية والانكليزية والاسبانية والفارسية والروسية والصينية .



صورة المؤلف

غير ان هوايته الكبرى كانت ومـا تزال الشعر العربي ولا سيما

الشعر المغربي والاندلسي . وكانت الاطروحة التي قدمها للتحصيل على شهادة التبريز في المانيا تخص العلاقات بين الشعر العربي والشعر الغنائي الاول في ايطاليا

وقدطلبت من الاستاذ سلفاستروفيوري *Sylvestro Fiore* ان يقدم لقراء « الفكر » مؤلفه هذا الطريف الشيق الذي صدر باللغة الالمانية في طبعة نادرة جدا . فتفضل بتلبية الدعوة ووجه الي مقالا طويل الذيل محررا بالفرنسية نقلته بشيء من التصرف الى العربية .

لقد هيأت التخمينات المدرجة في عدة تآليف من القرن الثامن عشر - تاييدا للنظرية القائلة بان اصل القافية شرقي شان الموسيقى والشعر بصورة عامة - هيأت هذه التخمينات المجال لما دعي فيما بعد : «الاطروحة العربية» معارضة لـ «الاطروحة اللاتينية» التي دافع عنها ايستبان دي ارتياغا *Estebane de Arteaga* في كتابه تطور المسرح الموسيقي الايطالي منذ البدء الى وقتنا هذا (١) غير ان هذه الخصومة لم تجد الا ابتداء من سنة ١٩١٢ قاعـدة امتن واوجه متمثلة في ديوان الشـاعر الاندلسي ابن قزمان الذي اكتشفت نسخة منه في ذلك التاريخ ببغداد واضطلع بدرسها المستعرب الاسباني جوليان ريبارا *Julian Ribera* الذي وجد في ترتيب القصيد العربي شبها بـ «الفيرلاي *Virelay*» . وقد نشر هذا الديوان في سنة ١٩٣٣ من طرف الاستاذ نيكل في طبعة بالاحرف اللاتينية مع ترجمة جزئية بالاسبانية

وقد بعثت من جديـد بفضل هذا الاكتشـاف الخصومة القائمة بين انصـار الاطروحة العربية والاطروحة اللاتينية كاشد ما تكون حـدة . وكان كل من الشقين المتعارضيـن يرى ان جميع الشعر الصادر في اسبانيا كثمرة من ثمار هـذه الحضارة او تلك . ثم دخل الموسيقيون في المعمعة . مقدمين معلومات شيقة حول البنية الموسيقية للاغاني الشعبية العتيقة في اروبا وكذلك مادة جديدة على جانـب عظيم من الفائدة لفهم «الخرجات» وهـي الابيات الاخيرة من الموشحات العربية والعبرانية وتمادى النقاش حول هذه الخرجات التي اعتبرها بعضهم كتعبـير عن الشعر الشعبي الاسباني الاول واعتبرها آخرون كشكل من الشعر الشعبي العربي

---

(١) *La révoluziani del teatro musicale italiano dalla sua origine fino ai presente - Bologna 1783*

المصطنع *Kunstform* (وهو شكل من الشعر تميل اليه كل حضارة بلغت اوجها)

ولما كان الاستاذ نيكل قدم الادلة القاطعة على التشابه الغريب بين بعض نواح من الادب العربي وادب التروبادور *Troubadours* (١) سواء من ناحية الشكل او من ناحية المعاني رايت من جانبي ان اقوم ببحوث حول التاثير العربي المباشر على الشعر الايطالي الاول الامر الذي يناقض الراي التقليدي السائد والقائل بان هذا الشعر ليس شيئا آخر سوى صدى لشعر « التروبادور »

المسلمون في صقلية

احتل العرب صقلية منذ أواخر القرن التاسع مسيحي . وقد اعرب ابن حوقل في سنة ٩٧٢ عند زيارته للجزيرة عن شديد تعجبه عند ما شاهد في بالارما ما يزيد عن ٣٠٠ مسجد . وقد بلغت الحضارة العربية في صقلية اوجها تحت حكم النرمان وفعلا فان امراء الجزيرة احاط بهم مستشارون عرب وتبنوا النظام الجبائي العربي وقد كتب الادريسي بطلب من الملك روجير الثاني كتابه العظيم « نزهة المشتاق » ونظم الشاعر ابو الضوء السراج مرثية عند موت نجل الملك المذكور . وبقيت العربية لغة رسمية الى جانب اللاتينية واليونانية حتى وفاة آخر امراء النرمان وكان يوجد في دواوين الملوك والامراء كتبة مختصون في كل لغة من هذه اللغات الثلاثة . ويستطيع الزائر اليوم لكنيسة القديس ميخائيل في بالارما ان يشاهد على القبور المسيحية نقوشا بثلاث لغات (العربية واللاتينية واليونانية) مع تواريخ مناسبة للانظمة الحسابية الثلاثة (الحساب الهجري والحساب المسيحي وحساب قسطنطين) . وكان ملوك النرمان يجيدون العربية ويحذون في قصورهم عيش ملوك العرب . ثم ان الهندسة المعمارية تتجلى فيها الآثار العربية نكتفي للاستدلال على هذا بذكر كنيسة سان جيوفاني في بالارما وقصر العزيز الذي شيد في عهد الملك غليوم الاول .

وقد كان الملك فريدريك الثاني حفيد الامبراطور فريديريك بربروس محبا للحضارة العربية مولعا بها . وكانت له مراسلة منتظمة مع الملك الكامل سلطان مصر ووزيره فخر الدين وكذلك مع عدة امراء تونسيين . وهو الذي وجه في سنة

(١) هم جماعة الشعراء السواحين الذين يتنقلون بين قصور الملوك والامراء في اوروبا ينشدون الشعر ويغنون .

١٢٤٠ الى عدد من العلماء العرب اسئلته المشهورة المعروفة بـ « الاسئلة الصقلية » والتي تدور حول حدوث العالم او قدمه وماهية الروح وغاية الفقه الخ .... وقد بقي لنا اليوم رد الشيخ عبد الحق بن سبعين على هذه الاسئلة . واستعمل هذا الملك من ناحية اخرى لفيفا من المرتزقة العرب رابطوا في عده مدن بايطاليا وخاصة في مدينة « بيزا » التي كان بها حي شرقي يدعى لا كنسيكا *La Kinsica* وفي سنة ١٧٨١ عندما فتح التابوت المتضمن لرفات الملك فريديريك الثاني وجد منقوشا على احد كمي بدلته : « ليكن هذا هدية الى السلطان ! »

علاقات الشعر الايطالي والشعر العربي

١) من ناحية الشكل : توجد في الشعر الشعبي الايطالي في القرنين ١٣ و ١٤ مسيحي سواء منه الاباحي او الديني امثلة عديدة تنعكس فيها بصورة دقيقة بنية الموشحات والازجال ومن بين هذه الامثلة الاناشيد الدينية لمدينة بيزا وشعر جاكو بوني دا طودي *Jacopone Da Todi* واغنيتان اباحيتان للشاعر بوكاسيو *Baccaccio* ومن الجدير بالذكر في خصوص الموشحات التي تحافظ بصورة عامة على اللغة الفصحى والازجال التي تنظم باللغة الدارجة اننا لا نجد لها في الشعر اللاتيني سوابق يمكن اعتبارها نماذج للبنية القائمة عليها .

ثم ان هذه الموشحات والازجال التي نشأت حسب الرأي السائد عند كبار العلماء العرب امثال ابن بسام وابن سناء الملك وابن خلدون في الاندلس في اواخر القرن التاسع مسيحي كان لها رواج عظيم في سائر البلاد الاسلامية .

لقد ذكرت آنفا ان نسخة من ديوان ابن قزمان وجدت في بغداد . ثم ان ابن سناء الملك المصري كان من كبار منظمي الموشحات وقد اثنى عليه ابن خلدون ثناء حارا . وكان يوجد في المغرب حتى هذه السنوات الاخيرة مغنون يتنقلون في الاسواق منشدين ازجالا طويلة تدعى بـ « كلمات غرناطة » .

وقد راج ايضا هذا النوع من الشعر العربي في اوروبا الجنوبية حيث ادخله مغنون ومغنيات عرب . واكد ابن حيان في « كتاب المتين » بصورة قطعية ان المغنيات المجيدات للغناء والموسيقى كانت مطلوبة كثيرا من طرف بلاطات الامراء في اوروبا الرومانية . وافادنا هذا الكاتب ايضا ان عدة الاف من الاسيرات

العربيات قدجابن بعد واقعة بر باسترو *Barbastro* الى بلاطات الامراء الاوروبيين بمن فيهم الامير غليوم الثامن والد غليـوم دي بواتبي *Guillaume de Poitiers* اول « تـروبادور » فرنسي وفي السنة التالية عند ما احتل العرب المدينـة من جديد ارجع عدد من الاسيرات لكن الجانب الاعظم منهن بقي في البلاطات الاوروبية . وقد ذكر لنا الطبيب ابن كتاني القرطبي الحماس الشديد الـذي كان يسود بلاط الكونت سانشوا غارسيا القسطيلي (اوائل القرن الحادي عشر) عند الاستماع الى الموسيقى والاغاني العربية . واذا كان من البديهي ان اللغة العربية لم تكن مفهومة قط من طرف هؤلاء الاقوام تحت الاحتلال الاسلامي فانه ممـا لا شك فيه ان جدة الانغام وبنية القصائد (المتجلية في تركيب القافيـة) كان لهمـا تأثيرهما البعيد .

وهكذا نشر الزجل ابتداء من هذه القصور (انظر الصورة المنشورة مع هذا المقال والممثلـة لمغن عربي مصحوب بتروبادور .) بنية في مختلف جهات اوروبـا عن طريق هؤلاء الشعراء والمغنين .



مغن عربي مصحوب بتروبادور

وفعلا فاننا نرى مثل هذه البنية في القصائد الفرنسية المعروفة باسم « روندو *Rondeaux* » في القرن الثالث عشر وفي بعض الاغاني الشعبية بمقاطعة بروفانص *Provence* وفي اغاني شعراء برتغاليين مجهولين من القرن الثاني والثالث والرابع عشر وكذلك في الاغاني الدينية والاباحية الايطالية كما راينا ذلك آنفا .

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام - وهي النقطة الهامة من بحثنا - هو ان الزجل عند شعراء « التروبادور » له بنية خاصة مخالفة تماما لبنية القصيد عند الشعراء الايطاليين الاوائل، ذلك ان « الازجال » الايطالية تتضمن دائما «مقدمة» لا نجدها في ازجال التروبادور الامر الذي يمكننا من الجزم بأن التروبادور ليسوا هم الوسائط بين العرب والايطاليين .

ومن جهة اخرى فان عدة ازجال ايطالية من مقاطعة « طوسكان *Toscane* » قد نظمت في اوائل القرن الثالث عشر اي قبيل ظهور الامثلة الاخرى من « الازجال بمقدمة » في اوروبا ولذا فاننا نستبعد وجود وسائط اوروبية في بوادر انتشار هذا الصنف من الشعر العربي في ايطالية .

ان صقلية هي بدون شك اهم مصدر في انتشار التاثير العربي بإيطالية وبالرغم من أننا لم نعثر على اي اثر للزجل في المخطوطات الصقلية فانه من المفيد جدا ان نلاحظ اوجه الشبه الغريبة بين اقدم نوع من الشعر الشعبي في صقلية والازجال العربية واعني بهذا الشعر الصقلي القديم القطع المعروفة باسم « موتتي *Mottetti* » التي تتركب عادة من بيتين وهي اصل قصائد «سترونبوطي *Strombotti*» المتركبة من ستة او ثمانية ابيات والتي يرجع تاريخ اقدمها الى عصر غليوم الثاني (١١٦٦ - ١١٨٩ م) .

❀ ❀ ❀

ثم يتعرض الكاتب الى مسالة العلاقات بين الشعر العربي والشعر الايطالي من ناحية المعاني فيلاحظ ان المعاني التي طرقها التروبادور وشعراء المدرسة الصقلية الاولى كانت جديدة تماما بالنسبة لاوروبا قائلا: اننا لا نجد مثلا معنى خضوع الرجل التام للحبيبة ودلال هذه الاخيرة في شعر الرومانيين واليونانيين ولكننا نجده عند الشعراء العرب ابتداء من جميل بثينة ولا سيما عند العباس بن الاحنف وشعره في حبيبته « فوز »

ثم يفند الكاتب النظرية القائلة بان شعر التروبادور الذي سبق بقليل ظهور

الشعر الايطالي الاول قد اثر في هذا الاخير تأثيراحاسما مستدلا بثلاثة ادلة:

١) تصور الحب عند التروبادور والايطاليين غير متشابه بينما هو متماثل تماما بين هؤلاء الاخرين والعرب.

لا يشبب التروبادور الا بالنساء النبيلات وهذا شرط وجوبي في نظرهم بينما يشبب الشعراء الايطاليون بالحبيبة مهما كانت منزلتها الاجتماعية بل اننا لا نجد في المدرسة الشعرية الصقلية اي تشبيب بنبيلة او اميرة من الاميرات .

وعند العرب نرى ان جميل وبثينة ينتميان الى نفس الطبقة الاجتماعيــة . وليست « فوز » من النبيلات اما « نعُم » حبيبة ابن حزم فهي جارية .

٢) يستعمل الشعراء الايطاليون الاوائل مثل العرب المقارنة المباشرة بــين الحبيبة والكواكب السماوية اما التروبادور فإنهم يقتصرون في ذلك على الاستعــارة والمجاز يستعملون الشمس والقمر والنجوم كعنصر بسيط من الاستعارة كمناجاة مباشرة

ومن الجدير بالذكر ان الشعر الشعبي في صقلية يستعمل ـ اكثر بكثير من شعر « المدرسة الصقلية » المقارنة المباشرة مع الكـواكب على النمط الشرقي (١)

٣) النقطة الثالثة التي تربط بين المدرسة الشعرية الصقلية والعرب وتميزهـا على التروبادور تتمـثل في ذلك الباب من ابواب الشعر المعروف بـ « نواح النساء *Les complaintes des femmes* ».

وهذا النوع من الشعر ـ سواء في الشعر الشعبي او الشعر الفني ـ يكتنفه عند الصقليين طابع الصدق ويبدو كانه صادر عن شعور واقعي وألم حقيــقي . ونحن نجد نفس مظاهر الصدق هذه في جميع « الشعر النَوَاحي » الصادر من البــلدان التي خضعت مباشرة للنفوذ العربي مثل « اغاني الاصدقاء » او « اغــاني الحب » البرتغالية (٢) او اغاني قسطيلية المعروفـة باسم *Villancicos* فهي تحافظ جـميعا على نبرة الالـم والشعور القـوي بـالواقـع الامر الذي لا نجده بتـاتـا في شعر التروبادور في فرنسا وايطاليا الشماليتين حيث يصبح هذا « النــواح » ضربا من اللهو والعبث .

(١) *Stiddalucentichinadibiddizzi-DinafinestraS'affacciaulaluna.etc,.*
آه ، ايها النجم اللماع المفعم بالجمال ـ لقد أطل علي البدر من النافذة الخ . . .

(٢) *Cantigas de Amigo - Cantigas de Amor*

حنين

بقلم الجنيدي خليفة

(س) في ٣ سبتمبر ب ١٩٥

عزيزي بكار ،

لقد يئست نهائيا من ان اجد السلوى في حياتي الراهنة ، وكنت بادىء الامر انتظر عطلة الاسبوع بامل متزايد ، فاذا ما حل مساء السبت بدأ كل شيء يأخذ في قلبي طعما منفرا ويعتريني برود وخواء كذاك الذي يحل ليالي الشتاء في مفترق الطرق ، أجربت ان تقف في مفترق الطرق ...

كنت اتجول قرب محطة القطار وكانت شمس الغروب تضفي على اعالي الجدران لونا قرميديا يقبض النفس وفجأة تراءى لي اني لاول مرة اواجه نفسي بهذا السؤال : اي شيء تراني مخلفه بعد موتي ؟

وعوت في الفضاء القريب اجراس الكنيسة ... بينما وقف الى ماسح احذية شخص انيق لا يفتأ يشير اليه بسبابته ان يمسح هنا ويلمع هناك : وامام كشك الدخان القائم على يميني اتكأ على حافته شخص آخر لا ينى يتحدث بين الفترة والفترة الى صاحبه بصفير مثير .

وعند ما عدت بعد ساعات الى مسكني جعلت اهتم بالنظر الى « فياقة » في اطار نحاس متسخة الوجه،كنت اشتريتها يوم بدأت العمل وفي العطلة الاسبوعية وكانت دقاتها الصدئة المصممة تخترق اعماقي ، وخيل الي انها هي الاخرى تبادلني النظر بعين عجوز على ان اقترن بها الى الابد ، وكان عقربها الموقظ ، الكامن كحمة صغيرة مجمدا على الرقم ٦ حيث لم احوله منذ اشهر ، النهوض باكرا منعش جدا.. وعند ما كنت في المنظمة ل.ت.و.ع. كانت يميني تحمل اليهم الزاد وبشمالي اقطف الازهار .

ايه يا جبال « القنطرة » الشماء
ايتها التي تشق جوفك الخود

ويرهم تضاريسك العرق
احمليني مرة اخرى
الى قوس قزح
حيث تطرزين باناة
لقمتك النورية
اهلة من عناب
على اعشابك الخضراء
وحيث ينعش الفجر
مستقبليه
اعيديني ايتها الاخت

❀ ❀ ❀

الاحد يجعلني ارتطم بنفسي ارتطام بمثل الضفدع المسلوخ ، والبارحة استدعاني صديق جديد الى تناول العشاء معه ، واغريت نفسي بمعايشة اعماقه وفي كلب مسعور الى ان اشم عرق الناس وان اخترق حدودهم الجلدية ، عند ما وجه الي الدعوة كان ينظر الي ، ونظرت بدوري اليه ، آه .

ولما ادخلني غرفته الخاصة اعتراني ذلك الطعم ، كانت دمية محشوة بالصوف فوق جهاز المذياع وباحدى يديها قفاز ، بينما شعرت بان في سائر المنزل اجساما بشرية مبعثرة ، اي مبعثرة !

الاحد ! اني اكتب اليك ومليء الشعور باني غريق ، غريق في ركام بالوعة شديد اللزوجة ، وفي الصباح حاولت القيام بحل مشكلة من تلك التي تنشرها الجرائد ثم سرعان ما ارسلت بخادم النزل في شراء زجاجة والححت عليه في التقاط جسد ، هل اني لم اعد الى الاتصال بك الا فرارا من نفسي ؟ اني اجدني في رغبة ملتاعة لمكاتبتك ، ولكن ربما ، ربما لم تكن حدودنا الفارقة غير وهمية ، آه آه :

وعند ما يشق الارض محراث
ويتضوأ مصباح في كوخ بعيد
سنفغم معا بعبير الورد
ويجرف عرقنا الانقاض

ولكن لماذا لم تعد تحدثني في رسائلك الاخيرة « عنها » احرزت : رودا مني ؟ قل ! لا ، لا ، بل ارجوك الا تجيبني الآن ، دعني حتى اتخلص من البالوعة حدثني فقط عنها ، آه لو تعلم مدى حاجتي لان اصطلي ب ، بما لست ادري اسمه

تقول اني قد نسيتك وتقصد ربما عتابي ، ولكني كنت نسيتك فعلا ، والى درجة قاتلة ، اعني قاتلة ، اف ، الفياقة ، الكتب المهجورة فوق المنضدة ، هذا الحزام من الدهن يتوسط ببلادة الغرفة ، صوت المذياع . . . اخ

عند ما فكرت فيما عسى ان اخلفه بعد موتي اعتراني رعب ، رعب قذر وبارد وبان لي فجأة انني اغوص انا والذين يمسحون احذيتهم ، وجميع هذه « المنظورات » بينما آخرون نسمع عنهم من بعيد يصعدون الى حيث ، حيث لا تثير الاشياء « نرفزة » حيث ينتعشون بالنهوض الباكر ، ان قرحي يقطر عفنا من ها هنا : انهم يصعدون بينما انا والمعنيون باحذيتهم تنتصب كالثؤلول ، اننا مشدودون الى خيوطها ، الاحذية .

عند ما حلت الساعة ١٩ قطعت الكتابة ومع اني لم اكن جوعان فقد اسرعت الى ارتداء بدلتي وخرجت لتناول العشاء ، اخ ! لقد لبست ثيابي المكوية ، ولمعت ايضا حذائي ، لكم اود لو قدرت على تمزيق هذه الثياب والتجول حافيا .

واقبلت مسرعة نادلة المطعم بمجرد ما جلست ، وقدمت لي نفس القائمة ونفس الابتسامة والتحية ، مثل جميع الآحاد السابقة ، اخ ، وهناك في الركن نظارات ذهبية الذراع ترتفع وتنخفض مع حركة الملعقة بهدوء بالغ .

والان علي ان اكف لاستيقظ في السادسة ، وها اني امسك بالعاهرة اعبثها واثبت من معادلتها لساعتي اليدوية ، ولكن هل ترى يلم بي النوم وانا اسائل نفسي عن اي اثر تراني مخلفه بعد موتي »

وعند ما انتهى « بكار » من قراءة الرسالة علي تنهد بعمق واغرورقت عيناه ، ثم قال وهو ينظر الى العلم الخفاق فوق بناية رئاسة الجمهورية : « اذا ما كنت تملك المحبة فالعالم باجمعه يعيش فيك ولن تموت اذن »

مشكلة "الله"

في الأدب الفرنسي المعاصر

بقلم بيار هنري سيمون
ترجمة المنجي الشملي

- ٢ -

سنجد نفس الفكرة (١) عند سارتر، وقد زادت تعقدا ؛ ولا غرابة في ذلك، فصاحبنا فيلسوف أخلاقي يعتمد في تفكيره على الميتفيزيقا : ليست قضية سارتر قضية مفكر ديني يتطور نحو الالحاد، ولكنها قضية مفكر لا ديني المزاج، بل قل بطل الالحاد والداعي اليه . فتآليفه الادبية - فضلا عن تآليفه الفلسفية - ونتاجه المسرحي على الخصوص، كل ذلك يبدو موجها ضد الله . ويجب أن نعزو هذا البغض لله الى اتجاه فلسفته العام . فالانسان - حسب تحديد سارتر - هو الحرية الذاتية، ليس شيئا آخر . وهذا ما يجعله - أولا وبالذات - عديم الثقة بالناس، مدافعا عن نفسه ليقيها شر « الآخرين » . لأن « الآخر » عدو لي بوجه من الوجوه . فإذا اتفق له ان يكون أقوى مني اجتماعيا او خلقيا، حاول أن يسترقني او أن يستغلني ؛ واذا كانت له معي علاقات تربطنا على قدم المساواة، نظر الي - طبيعة - نظره الى جماد خال من كل حياة، واطال الي النظر بعقليته هذه محاولا ان يمحوني من حيث انا شخص ومن حيث انا كائن حر . « فالآخر » باستعداده ووضعيته، عدو لحريتي . يقدم لنا سارتر في مسرحياته - بإسهاب مقصود - ذلك الموضوع المفجع الذي يطرق العلاقات المفجعة بين « الانا » و « الآخر » المتنافرين . وفي المسرحية التي عنوانها « المحاكمة السرية » (*Huis-clos*) بدا هذا المشكل أبين منه في اي تأليف آخر، حيث نجد جهنم ممثلة في صورة قاعة - على النمط البرجوازي المعتاد - حكم على ثلاثة اشخاص ان يعيشوا فيها أبدا، كل واحد منهم يرزح تحت النظرات القاهرة التي يسلطها عليه

(١) الفكر - السنة ٤ - العدد - ١ -

الخـوف من الخطيئة ، وسيلته ، لتحقيق ذلك ، نفي الاحكام الالهية . وما هي الا ان شرع « جوبيتير » ينحى باللائمة على « أوريست » ، حتى جره الحديث الى تحديد دور الاله في الكون تحديدا متينـا ، مركـزا تركـيزا كـلاميا ثابتـا .



ج. ب. سارتر

فالله - حسب تحديده - هو الكائن الذي تكون الموجودات هي به موجودة، وهو « الخير » لانه هو « الموجود الجوهر » . ثم يقول « جوبيتير

« الخير منتشر فى كل مكان ، الخير كامن فيك وموجود فيما هو سواك ، يندس فيك كانه منجل ، ويدوسك كانه جبل، ويحملك فيبرزك كانه بحر . اما هذا الشر الذى انت به مفتخر ، وادعيت انـك فاعله لذلك فهو سـوى انعكاس « للوجود » ، ومناص مكذوب ، وسراب ، وكلها امور برزت ـ بفضل الخير ـ الى الوجود ! »

هذا حديث طريف المضمون ، جميل الصياغة ، ولنستمع لجواب «أوريست» بعد هذا التذكير بعزة الله وبتفاهة المخلوق :

« انت ملك الالهة ، يا « جوبيتير » ، انت ملك الحجارة والكواكب ، ملك امواج البحر ، ولكنك لست بملك الناس . »

هذه عبارة مدهشة ، اذ هي على ثورة الانسان ضد الله ادل منها على نفي الانسان لوجود الله . ويرد جوبيتير قائلا :

« لست بملك عليك ، يا حشرة بانت وقاحتها ، فمن خلقك ؟»

فأجاب « أوريست » :

« انت الذى خلقتنى ، وما كان عليك ان تخلقنى بشرا حرا . »

فقال « جوبيتير » :

« لقد وهبتك الحرية لتكون فى خدمتى . »

ورد « أورُيست » :

« قد يكون ذلك ، ولكن هذه الحرية انقلبت عليك ، وصرنا ـ انا وانت ـ على تلافى الامر عاجزين . »

هذا موقف شيطاني محض : إذ الكائن الذي خلق حرا اصبح لا يتشبع بحريته الا اذا رفض ان يكون في خدمة فاطر السماوات والارض .

على ان جواب « أوريست » جواب باطل ، اذا ما تفهمناه تفهما دقيقا ، فهو يفرض وجود رب كامل على كل شيء قدير وهو الله ، ثم يقول ان الانسان ـ وهو كائن خلقه الله ناقصا ضعيفا ـ يجرؤ على ان يتوق الى استقلال ذاتي مطلق ، والى الفوز بالمساواة لله في الكون . لذلك يتحتم هنا ان نبحث عن سوء الطوية التي يتضمنها رأي سارتر . هل إن « جوبيتير » في رواية « الذباب » هو الله حقيقة ؟ من المحتمل ان « جوبيتير » لم يقصد الى شيء سوى الافتخار بنفسه ، وان ألوهيته ليست الا خيالا او قناعا . واذا صح هذا الافتراض ، فموقف « أوريست » يصبح موقفا وجيها . ولا بد من الرجوع ـ كي نفهم ثورته في أتم معناها ـ الى الخطاب الذي وجهه اليه « جوبيتير » ، ينصحه فيه بان يفتح اعين الجمهور رأفة بالجمهور ، فيقول :

« ويح هؤلاء الناس ! الوحدة والعار هديتك اليهم ، انك ستخلع عنهم الثياب التى كسوتهم بها ، فلا تلبث ان تكشف لهم عن وجودهم ، وجودهم هذا الفاحش المفجر ، الموهوب لهم سدى . »

ويجيب « أوريست » :

« **بلى! اعلم هذا، ولكن الانسانية تبدأ على الضفة الاخرى من خضم القنوط.** »

ومعنى ذلك انه لا وجود لله ، ولكن يوجد معنى الله ، وهو تصور باطل ينشئه - قصد الاعتصام به - الضمير الحائر ، العاجز عن مجابهة بؤسه الشخصي على ان الانسان لا يكون انسانا كل الانسانية حتى يضطلع - في جرأة - باحتمال عبث الوجود ، والتسليم به عن روية ووضوح تفكير .

وفي فصل آخر - وهو يتضمن محاورة بين « إيجيست (Egisthe) وجوبيتير - يظهر ان معنى الله ليس امرا اخترعه الضمير الحائر فحسب ، بل رأى قال به الرؤساء والملوك كي يبرروا سلطتهم ، وصورة سياسية باطلة فرضتها البيئة الاجتماعية على الضمائر الفردية ، كي تضمن امتيازات الطبقات المهيمنة ، ثورة اوريست ليست اذن رفضا بـه يجابه الانسان الها موجودا ، بل هي ارادة ترمي الى محو معنى لا يقوم على حقيقة واقعة ، ويدوس حرية الانسان . فالضغينة التي يكنها سارتر ضد الله هي - بالتالي - ضغينة ضد صورة الهية يرى فيها هذا المفكر وهما مخلا بالضمير ، وعقبة كاداء في سبيل تحقيق حريته الذاتية الكاملة . أقول هذا وانا انظر في فلسفة سارتر وفي ارائه التي يثبتها بصورة شكلية ، لست ادري ، في الحقيقة ، هلا يوجد ، عند هذا الرجل الذي يشن حملة ضد معنى الله ، فكرة بعد عمقا ، او خاطر مكنون يجعله اثقل مسؤولية واكبر ذنبا من جهة ، ويهيىء له ، من جهة اخرى ، امكانية اوسع يلجأ بفضلها الى الروح في نهاية الامر ؛ واعني بالخاطر المكنون - الذي يشنع بفكرة الله - شعورا عميقا صامدا بذات الله .

ولنحتفظ ، على كل ، بما قال سارتر : هو يريد ان ينزع معنى الله من الذهن الانساني ، فلقد اثار المشكلة من جديد - بعد تأليفه « الذبان » - في رواية اخرى عنوانها : إبليس والله (le Diable et le bon Dieu) حيث تبرز هنا فلسفته الالحادية في صورة مذهب مكتمل قائم بذاته ، اكثر منها في اي تأليف آخر . ففي هذه المسرحية نجد شخصا يدعى « قويتز » (Goetz) تاقت نفسه ، بعد ان كان بطل الشر ، الى ان يصبح بطل الخير ، وصار يشهد - في تأكيد - بوجود الله ويؤمن بحكمه ، ويحاول ان يطبق هذا الحكم حسب التعاليم المسيحية ، ولكنه أخفق إخفاقا تاما : فالفلاحون الذين وزع عليهم الاراضي ثاروا عليه ، والمرأة التي شغفته حبا وطلقها هلكت حزنا ، ومدينة الشمس ، التي اقامها على مبدإ

اللا معارضة للشر سحقها العدو . ولم يستعد « قويتز » ثقته في الحياة وعطف الناس عليه وانسه اليهم الا بعد ان تفطن لخطإه : فهو اراد ان يكون فعله مسايرا للتاريخ وان يكون إيمانه بالله وقبوله لحكم الله نقطة انطلاق لعمله الانساني ، وماكان منه الا ان اعرض عن هذا الحكم وهذا الايمان وثاب الى حرية الانسان الملحد الخالصة ليتمكن من اعادة ربط عروة التضامن مع « الآخرين » بعد ما انفصمت من جراء طهره اللاإنساني ،وليتيسر له كذلك ان يفوز من جديد بوسائل الفاعلية التاريخية وان يضطلع بدور خلال متناقضات التاريخ ، وان يدافع عن المساكين بواسطة الحرب . فاستمع اليه يقول ، وقد بلغ الدرجة القصوى في معاناته تجربة طهره :

« **ليس من هذه الحرب بد ، اني صممت على ان اخوض غمارها . لم ابق انسانا حقيقيا ، لان الله احتكر الوجود ، كل الوجود .** »

انكم تلاحظون اننا نصطدم دوما بنفس الفكرة : وجود الله ، او معنى الله امر يؤدي بالانسان الى الهلاك . وهكذا تأكد التنافر الكامل بين المسيحية والانسانية ، اما « هيلدا » (*Hilda*) - وهي حكيمة الرواية. فتتجاسر ان تقول :

« **لا يمكن ان نحب الا على الارض وضد الله .** »

وقولها هذا تجديف فظيع وامر مخالف للحقيقة : اذ مهما باءت المسيحية الخفاق زمني ودنيوي ناشيء عن عدم استقامة المسيحيين ، فلا يجب - مع هذا - انكار المحبة المسيحية ، ولا يحسن تأكيد ذلك الراي الغريب المشين ، القائل بان المسيح نزع المحبة من الكون ، لنعترف اذا ما رمنا الاخلاص للحق وللتاريخ نه من الخطأ القول بانه لاسبيل الى محبة الناس الا ضد الله ، من الخطإ ان نعتقد ان الايمان والترجي والمحبة - وهي فضائل تسمو عن الفضائل الطبيعية - تعوق المؤمن بالله على ان يكون في خدمة الانسان وان يؤثر في التاريخ ، ولكن هذا الخطأ عند سارتر ناتج عن اثبت عنصر وابلغه اهمية في مذهبه الانساني الالحادي .

على اننا نجد في رواية « إبليس والله » قضية اوسع من مجرد قضية الله والطهارة ؛ فالقضية تبحث - بصورة أعم - مشكلة « المطلق » ، وهذا امر جدير بالاهتمام . « فالرواية، حسب تصريح المؤلف ، تعالج برمتها مشكل علاقات الانسان بالله أو قل - ان شئت - علاقات الانسان بالمطلق » . والمطلق - في الحقيقة - هو موضوع الشك الكثر من الله ؛ « قويتز » - خادم الشر - ما يفتأ متعطشا الى المطلق ، رافضا حدود وضعيته الانسانية ، كي يثبت حرية معنوية ،

خيالية ، متنطعة ، عديمة الصلة بالتاريخ . وهو ، اذ جعل نفسه مقصورا على خدمة الله ، يرمي الى بلوغ المطلق ايضا . وفي كلا الحالتين ، رمى به التعطش الى المطلق خارج الانسانية ، وذلك بصورتين اثنتين : بان عزله عن الموجودات ، وبان جعله قاصرا عن القيام بعمل إيجابي . فلا سبيل الى ان يدخل في بوتقة الانسان حتى يقبل نسبية منزلته من حيث هو كائن دنيـوي زمني ، يخضع لـوضعية تاريخية مضبوطة ، ويخوض غمار عمل ملتبس زائف ، وبالتالي حتى يـوطد العزم على تطهير عقله من كل علاقة بالمطلق . ويمكن له ان يصيح حينذاك مرددا :

« لا وجـود لله ! مـا اعظم فـرحي ! اني لابكـي من شـدة الفـرح ! هللوليا ! لم يبق وجود للسماء ، لم يبق وجود لجهنم ، فلا وجود الا للارض ! وداعا ايها الممسوخ ، وداعا ايها القديسون ، وداعا يـا صلف ، فلا وجـود الا للنـاس . »

« وداعا يا صلف » لان الصلف هو الذي يغوي الانسان كي يتطلع الى الاتصال بالمطلق .

❀❀❀

ليست حملة سارتر على « المطلق » امرا شاذا . فهي في المذهب الوجودي - فلسفة وأدبا - أمر مألوف وعنصر ضمني . ولم تقف هـذه الحملة عند نفي وجود الله فحسب ، او عند الشك في قيمة معنى الله ، بل تعدت الى رفض مقولة المطلق رفضا باتا . امـا عند « ألبير كامو » *(Albert Camus)* فرفض « المطلق » ينفجر حسب اتجاه فكري يخالف التفكير السارتري اشد المخالفة . نجد في مؤلفه « الانسان الثائر » *(L'homme Révolté)* فكرة مهيمنة ، مفادها انه كلما رام الانسان الظفر بمطلق ، سرعان ما تبرز دوافع تجرف الى الطغيان والاغتيال . وهكذا ينقلب معنى الله فتكا بالانسان ، حسب رأي كامو : إذ أن الانسان ، عندما يزعم انه يتكلم باسم الله ، يحس في نفسه اكثر استعدادا لكي يـدوس الانسان ، أو ان له ما يبرر هذا الفعل ان كامو يعتمد على النظرية المتعلقة برفض المطلق لينتقد الموقف السياسي الذي ينتصر له سارتر ، فيلاحظ - وهو في هذه الملاحظة غيـر مخطيء - ان سارتر قبل ان يكون في خدمة الماركسية اعتنق عـددا من المقـولات الكبرى التي يقوم عليها التفكير الماركسي ، وخاصة تلك النظـرية التي هي بمثـابة الحجر الاساسي لهذا المذهب ، والتي مضمونها ان للتاريخ تطورا مقررا بصورة

ما قبلية ، وانه يتحتم على الانسان - متى رام بلوغ الكمال في الحكمة والحرية - ان يسلم بمعنى قوى التاريخ ، وان يجعل نفسه في خدمتها . ولقد عبر سارتر عن هذا الرأي بصورة رمزية ، في كتابه : « إبليس والله » حيث فاز « ناستي » (*Nasti*) بانتصار عظيم في آخر الامر . و « ناستي » هذا ، شخص ، من بين اشخاص الرواية ، في دور رئيس المساكين ، يقوم بحرب لا يؤمن بشرعيتها في قرارة نفسه ، الا انه يعتبرها امرا لا مناص منه ، لان المساكين - وهم من لا تخطىء غريزتهم - يرغبون في القيام بها، ولان هذه الحرب من مقتضيات التاريخ . وهذا موقف ماركسي صرف ، يسميه كامو مذهب الاعتقاد في التاريخ ، ويعتقد انه نشأ مع هيقل (*Hegel*) وازدهر مع ماركس (*Marx*) . واهم ما يقوم عليه هذا المذهب ، هو ان المطلق لا يزال يجرف حتى يندمج في تيار التاريخ ذاته . فمما لا مراء فيه ، انه اذا سلمنا مبدئيا ان معنى التاريخ هو تحقيق الطبقة الكادحة الاستبداد بالحكم ، وقيام وتشييد مجتمع خلو من الطبقات ، اصبحت الخدمة التاريخية للشيوعية هي مقياس الخير والشر . « فالمطلق الماورائي » اذن يتبلور في التيار الماركسي للتاريخ ، و « المطلق الاخلاقي » يتبلور كذلك في نشاط شيوعي ضمن التاريخ . ان هذه القفزة الى « مطلق » مطبوع بطابع زمني واجتماعي ، تعني - في نظر كامو - القرب من مغبة الوقوع ، من جديد ، في اتجاه اخلاقي اثيم طاغ . وكامو يرغب عن هذا الاتجاه رغبة يصبح معها موقفه بالتالي اكثر مرونة ، وفي الواقع اكثر انسانية من موقف سارتر ، رغم ثباته على رفض كل ماله مساس بالله او بالمطلق رفضا اساسيا . الانسانية التي يدعو اليها كامو اذن - معتمدا في ذلك على قاعدة عدم الافراط الموروثة عن اليونان ، وعن الفلسفة الرواقية التي نشأت على ضفاف البحر الابيض المتوسط - انسانية مطبوعة بطابع الوضعية والنسبية ولكنها انسانية صريحة الالحاد ، مع ان نفي وجود الله فيها أقل بروزا للعيان واقل حدة منه عند سارتر بيد ان هذا النفي ما برح منبعا للتفكير . لذلك نجد كامو ، وكل المفكرين القائلين بالانسانية ، يحاولون ، بعد ما اثبتوا وجود قيم الضمير الاخلاقي ، تبرير هذه القيم وتعليلها .



كامو

ويحسن بنا ، في هذا الصدد ، ان نقرأ فقرة في نص اساسي كتبه كامو اثناء الحرب سنة ١٩٤٢ ، بعنوان : « رسالة الى صديق الماني» (*Lettre à un ami allemand*) يعتبر كامو نفسه مخاطبا بهذا الكتاب صديقاله نازيا ويعترف انه - في اول الامر - كان متفقا وإياه وان اخلاق صديقه النازي ، واخلاقه هو ، قائمة على مذهب ما ورائي مناقض للتفكير السليم، اعني على التسليم بان العالم عبث بحت . وكلاهما يرى ان الانسان - والانسان وحده - هو الكفيل بان يعطي معنى لهذه المهزلة الباطلة - وهنا ينشب الخلاف بين كامو وصديقه الالماني حول الطريقة التي يعطي بها معنى للمهزلة ، فالنازي يعتقد في ارادة القوة وفي هيمنة جنس مصطفى ، اما كامو فهو يزعم ، متأثرا في ذلك بروحه الانسانية الغربية ، اننا نعطي معنى للوجود بفضل اثباتنا للقيم الفكرية ، واليك النص الذي يعلل به رأيه :

« طالما اعتقدنا جميعا انه لا توجد علة اساسية لقيام هذا العالم واننا مهضومو الجانب٠الا انى استنتجت - من هذا الوضع - غير هذا الاستنتاج (٠٠٠) انك لم تعتقد ابدا ان لهذا العالم معنى ، واستخلصت من ذلك ان كل شيء فيه سواء ، وان تحديد الخير والشر امر رهن اهوائنا ٠ (٠٠٠) واستنتجت كذلك ان الانسان ليس شيئا مذكورا ، وانه فى الامكان ان يهلك نفسه ٠ اين توجد نقطة الاختلاف بيننا ؟ هى فى استسلامك بسهولة لليأس فى حين انى لم ادع له سبيلا الى نفسى ، هى فى قبولك - بدون معارضة - ما يسلط من ظلم على منزلتنا الانسانية ، فاثقلتها بفعلتك هذه طائعا غير مكره ، فى حين انه يتحتم على الانسان ، حسب رايى ، ان يثبت وجود العدل كى يتيسر له الكفاح ضد الظلم الابدى ، وان ينشىء السعادة كى يشهر بعالم الشقاء ٠ (٠٠٠) وصفوة القول ، فانك اخترت الظلم، وتحيزت الى شق الالهة (٠٠٠) اما انا ، فبعكس ذلك ، قد اخترت العدل كى اظل مخلصا للارض ٠ وانى ما انفك اعتقد انه ليس لهذا العالم معنى اساسى ، ولكنى اعرف ان شيئا فيه لا يخلو من معنى ، وذلك هو الانسان ، لانه هو الكائن

الوحيد الذى يطلب هذا المعنى ، ملحا في طلبه . هذا العالم يتضمن « على الاقل » حقيقة الانسان ، وواجبنا يقضى علينا بان نقفه ضد نفسه بالذات . فما معنى تمكين الانسان من النجاة ؟ معنى ذلك توفير الاسباب التى يعم بها العدل ، والانسان وحده هو الذى يمتاز بعقل العدل وادراكه . »

هذا موقف بالغ الاهمية فالالحاد موجود ضمنه : هذا العالم لم يخلق من لدن إلاه حكيم ذي قدرة ربانية ولكنه عالم قائم على العبث ، والقسوة ، والظلم . الا ان الانسان يجد نفسه امام امرين أثنين : فإما ان يقبل هذا الظلم ، وإما ان يرفضه بان ينتصر للعدل ويشاقق الله . ولكن باسم من ينتصر للعدل ؟ باسم الانسان . فالانسان يحس في صدره بدافع يصور له عدلا لا يوجد في التاريخ ولا في العالم ؛ ذلك ان الانسان هو الكائن الوحيد يعقل هذا العدل ويدركه ويتوق اليه ، وهو انسان لانه يدرك العدل ويرغب فيه .

هو ذا موقف انساني خالص الانسانية ، شريف وفيه خير كبير ، يلتقي بالسنن الاخلاقية البالغة ، التي ازدهرت في الغرب . بيد انه اذا ما حاولنا ان ندقق النظر فيه من حيث تعليلاته الفلسفية ، بدا لنا واهي الاساس . اذ لا بد ان نتساءل كيف امكن لمعنى التسامي والتعالي ان ينشأ في الكائن العرضي . فاذا صح ان هذا العالم خلق سدى ، وان الحياة ظهرت فيه صدفة ، وان التخلص من مستوى الحياة المادية الى مستوى الحياة الفكرية امر من قبيل الصدفة وليس له مبرر كذلك ، فكيف امكن لحياة الضمير والفكر - هذه التي نشأت عفوا في كائن عرضي - ان تبدو للانسان مطبوعة بطابع السمو والقيمة المطلقة ؟ وكيف تبينت صحة مقتضيات الفكر ، اذا وقع التسليم بانه لا وجود لشيء اسمى من الانسان ، واعتبرنا ان الانسان ليس سوى كائن زائل ، ناجم عن تطور بيولوجي بحت؟ هي ذي عقبة لا يصطدم بها كامو فحسب ، بل كل الفلسفة الانسانية اللادينية التي تعتبر الانسان مركز الكون ؛ وهي ذي حجرة العثرة التي تصطدم بها الفلسفة الانسانية برمتها ، اذ هي تولي الانسان اهتمامها ، كل اهتمامها ، وتضرب عن الله صفحا . لا بد لهذا المذهب الانساني - كي يذلل هذه العقبة - ان يعوض اسم الله باسم جوهر علم : وإنها لا تجد اقرب استعمالا في هذا الصدد من كلمة الفكر : فالفكر ينشر القيم في عالم الرفعة والتسامي ، ويسلط على هذا الكون المبعثر العناصر ، وعلى التاريخ ، نورا يقينا شر القنوط .

(البقية في العدد المقبل)

أسباب الحرب

في

رأي العالمين "انشتاين" و "فرويد"

ما هي دواعي الحرب ؟ وهل يمكن استئصال أسبابها بحيث يعيش البشر اخوانا متحابين ؟ هذا ما يفكر فيه الكثيرون في هذه الظروف الخطيرة القاسية التي نعيشها . وقد راينا ان ننشر رسالتين كتبهما عالمان شهيران منذ سنة ١٩٣٢ في هذا الموضوع مع التمهيد الذي ورد في مجلة « حقائق » الصادرة بباريس (عدد ١٤٧) الفكر

فيما يلي نشر نص رسالتين الاولى من « البير اينشتاين » والثانية جوابا عليها من « سيكموند فرويد » وهاتان الرسالتان مؤرختان بسنة ١٩٣٢ - اي في مدخل الربع الثاني من هذا القرن - ذلك الربع الذي شاهد صعود نجم « هتلر » ثم افوله مع تدهور اوروبا جمعاء وميلاد « السلاح المطلق » الفتاك الذي يملكه الطرفان وكلاهما يرتعش فزعا من استعماله .

ومن خلال اسطر الرسالتين يتراءى للقارىء ماكان يفكر ويتوقع رجلان من عباقرة رجال هذا العالم وما هي الوسائل الناجعة في رايهما لا تقاء الفاجعة الكبرى .

فالاول يكتفي بوضع السؤال في ميدان لا يكون علمه فيه اكثر من علم رجل الدهماء والاخر يجيب بدقة فكره المعهودة .

هذا يقول بوجوب احداث سلطة قانونية وعدلية تحل محل السيادة الفردية للامم وتكسبها رصانة وتعقلا ويتساءل لماذا لم يكن للعقل قوة فعالة ولماذا لا تنقاد الامم للطبقة الحاكمة وباي وسيلة تقهر الغرائز وكيف يتسنى قطع دابر « الحاجة الى الحقد » التي تؤول الى نفسية جماعية .

والاخر يعرض على المجهر سلمية « أينشتاين » ويحللها دون اي لبس ولا

تضليل ويقول : كلا ان القوة ليست نقيضة القانون وما القانون في الحقيقة الاصورة محوّلة من العنف الذي لا مناص منه - وعنف الفرد لا يقاوم الا باتحاد ضحاياه الذين يضعون كاساس لمجتمعهم الصالح ، والشعور بالصالح يقضي بتحويل السلطة لوحدة اوسع لكن جمعية الامم آنذاك لم تكن لها قوة في مستواها فلم تفض لتمازج خلاق لمجتمع . ويؤكد فرويد ان دعوى القضاء على الميول الفتاكة عند البشر عمل بدون جدوى لكن لنا ان نتساءل هل من الممكن توجيه تلك الميول نحو ضرب من التعبير غير الحرب .

هنا يجيب فرويد بجواب مبهت . فهو من جهة يجيب دون خجل بوجوب اثارة عاطفة الحب عند البشر ويلتجي من طرف اخر الى وجوب فرض السلطة على ان تكون هذه السلطة بين يدي زمرة منتقاة من رؤساء ومفكرين سامين ياخذون بزمام الكتل والشعوب .

وهذه وسائل لا تتحقق الا بعد طول مدى ! لكن لا تقبل فكرة الحرب دون كراهية وهي مع ذلك تبني عن « اساس حيوي » وآية ذلك ان التطور الثقافي المخالف للطبيعة من عدة نواح يجعل بعض رجال الساعة يشعرون حيال الحرب بغير شعور الترفع الادبي بل بتنافر جسماني .

وما هي السبيل لاكثار هذا النوع من البشر ؟

هنا يضع فرويد رجاءه البعيد في مفعول هذين العنصرين وهما نمو الثقافة والخوف من نتائج الحرب المطلقة .

اما « اينشتاين » فانه لا يرى سوى مخلص ذي معقولية قاهرة يتمثل في حكومة عالمية ويرى الخطر في ابقاء طبقة حاكمة وبائعي مدافع ما سكين بين مخالبهم الصحافة والمدرسة والمنظمات الدينية وبذلك يتحكمون في توجيه الكتل ويرمون بهم نحو الحقد الذي تنشأ عنه الحرب - لكن الغرب اليوم لا تحكمه طبقة بل ان الاوامر التي تسطر التاريخ الواقعي والرأي العام الذي يوحي بها انما هي صادرة عن الدولة والاحزاب والشؤون التجارية واحيانا عن الكنائس لا عن تواطئهم بل نتيجة تنافرهم .

وشرح فرويد لشروط كل سياسة واقعية ينحصر في ان التناحر التقليدي بين القوة والقانون ما هو الا تطاحن بين ضربين من العنف .

ولم تمر اربع سنوات على تبادل الرسالتين حتى عمد هتلر لاحتلال مقاطعة «رينانية» فيصيح باريس رئيس وزارتها:«سوف نجابه قانون القوة بقوة القانون» واذا ما اتخذنا تعبير فرويد لشرح هذه العبارة قلنا هذا تصريح يرمي الى مقابلة عنف الفرد بالعنف الناشيء عن تكتل واتحاد ضحاياه وبما انه ليس هناك وحدة فمعنى ذلك اننا نقابل صفحات هتلر بصحيفة ورق خطت عليها بلاغة رائعة .

وتتوصل هكذا الى ما اتفق عليه الرجلان سلطة موحدة عليا فوق سلطة الشعوب ذات السيادة ـ وكلاهما يخشى عدم توفر القوة الكافية عند المشروع ـ وكيف يمكن ارغام الشعوب والجبابرة والطبقات الحاكمة على الخضوع للقانون المقرر ؟

فبينما يرجو العالم الفيزيائي انتصاب سلطة ذات صبغة ادبية نرى الباحث النفساني يامل الكثير من الفزع الذي توحي به الاسلحة الفيزيائية ويقول : « ان حرب الغد بمفعول تحسن آلات الفتك معناها فناء احد الطرفين وربما كليهما. » وعن ذلك تنشأ فكرة السلام الابدي يفرضه سلاح له من القوة ما يكفي لجعل السلطة المركزية مطاعة .

نحن في سنة ١٩٣٢ « وانيشتاين » يأسف لتجرد الدولة العليا التي يرتضيها من قوة تناسب مقامها وهو يفتش عن تلك القوة ولا يجد شيئا واليه يرسل فرويد (بتنبؤاته)، اليه وحده دون معاصريه وهو الذي كانت اكتشافاته سببا تحت طي السر والخفاء لتفرقع قاذفة « هيروشيما » ثلاثة عشر سنة بعد تبادل الرسالتين

تلك هي المأساة والسخرية التي ينم عليها تحاور عبقريتين احداهما تبصر المستقبل بعين جلية والثانية تجهل انها تعني بخطابها الرجل الوحيد الذي يملك السر دون ان يعلم ذلك .

رسالة "انشتاين"

اني سعيد اذ ان الدعوة التي وجهتها لي جمعية الامم ومعهدها الاممي للتعاون الثقافي بباريس لاتبادل الراي بحرية مع شخصية يقع عليها اختياري في موضوع اعينه بنفسي قد اتاحت لي فرصة ثمينة للتخاطب معكم في شأن قضية تبدو لي في الاونة الحاضرة كأهم ما يذكر في ميدان الحضارة وهي هذه : هل هناك سبيل لانقاذ البشرية من خطر الحرب .

وقد يسود اليوم الاتفاق بصفة عامة على ان تقدم « التكنيك » جعل تلك القضية حيوية حقا بالنسبة للبشرية المتحضرة ، ومع ذلك فان الجهود الجاهدة المبذولة لحل تلك المشكلة قد خابت لحد الآن خيبة مريعة .

وأنا اظن ان من بين الذين تشغل بالهم هذه المشكلة عمليا ومهنيا جماعة ترغب ـ رغبة منشؤها شعور بالعجز ـ في استشارة من وضعوا بحكم مباشر تهم العادية للعلوم على مسافة ذات حظ بالنسبة لكافة مشاكل الحياة .

اما فيما يتعلق بي فإن اتجاه تفكيري العادي ليس من الاتجاهات التي تلقي اضواء على اغوار العزيمة والشعور البشري ، ولذا فان في تبادل الآراء التي ابدأ بعرضها هنا لم أنو من عرض المشكلة وتمكينكم هكذا ـ مع الاعراض عن محاولات الاخرين لايجاد الحلول ـ من فرصة انارة المسالة بفضل ما لكم من المعرفة العميقة باسرار الحياة الغريزية عند الانسان .

وانا واثق انكم ـ من دون التعرض الى السياسة ـ اهل للاشارة الى الوسائل التربوية التي من شأنها ازالة الحواجز النفسية التي قد يتصورها من ليس له خبرة بالموضوع لكنه لا يقدر على تقدير تناسباتها وتغيراتها .

ويلوح لي ـ انا المتحرر من المزاعم القومية ـ ان ظاهر المشكلة اي طريقة العمل بسيط ، اعني ان الدول تضع سلطة تشريعية قضائية لتخفيف وطأة الخلافات كل الخلافات ، التي قد تنجم بينها وهي تلتزم بالخضوع للقوانين التي تسنها السلطة التشريعية وان تلجأ للمحكمة عند نشوب كل خلاف وان ترضخ دون

احتراز لاحكامه وان تنفذ لضمان التطبيق كل الاجراءات التي تراها المحكمة لازمة . وهنا المس الصعوبة الاولى وهي ان المحكمة مؤسسة بشرية قد تتأثر بعوامل الالحاحات غير القانونية بقدر ما تتضاءل لديها القوة على تنفيذ احكامها وهناك امر واقع لا بد من اعتباره هو ان الحق والقوة مرتبطان اشد الارتباط وان الاحكام الصادرة عن منظمة عدلية تقرب من المثل الاعلى لعدالة المجتمع الذي باسمه ولصالحه تصدر الاحكام . وذلك بقدر ما يتاتى لذلك المجتمع ان يجمع القوى اللازمة لتحقيق احترام المثل الاعلى لهذه العدالة . لكننا اليوم ابعد مانكون عن التمتع بمنظمة فوق دولية قادرة على منح محكمتها سلطة نافذة وضمان الامتثال المطلق لتنفيذ احكامها .

واول مبدإ يستبد بخاطري هو ان الطريق التي تؤدي الى السلم العالمية تفرض على الدول التخلي بدون قيد ولا شرط عن جزء من حرية عملها وبعبارة اخرى عن سيادتها ، ومما لا شك فيه انه ليس بوسعنا ان نجد طريقا اخرى تؤدي الى ذلك الامن .

ونظرة بسيطة الى فشل الجهود، المخلصة ولا شك، التي بذلت طيلة العشرة سنين الاخيرة تسمح لكل انسان بان يدرك ان قوى نفسانية جبارة ما تزال عاملة على اعاقة تلك الجهود ، والبعض من تلك القوى يسهل ادراكها .

ان التهافت على النفوذ الذي يبدو من الطبقة السائدة في اية دولة يعطل تحديد حقوقها في السيادة ، وهذا التهافت السياسي العارم كثيرا ما يجد غذاء له في ادعاءات طبقة اخرى يتجسم مجهودها الاقتصادي في شكل مادي صرف . واذ اقول هذا فانا افكر خاصة في تلك الشرذمة التي تجدها في كل شعب ، والتي هي ثابتة العزم على قلتها ، لا تقيم وزنا للتجارب ولا للعوامل الاجتماعية ، المتركبة من أفراد لا يرون في الحرب ولا في صنع الاسلحة والاتجار بها سوى فرصة سانحة لاستدرار فوائد وارباح شخصية وتوسيع نطاق نفوذهم الشخصي .

الا ان تلك الملاحظة البسيطة ليست سوى خطوة اولى في سبيل معرفة الملابسات ؛ فيتبادر اذن للذهن سؤال هو : كيف يتيسر لتلك الاقلية ان تستعبد لمطامعها السواد الاعظم من الشعب الذي لا يجني من الحرب الا الآلام والتفقير؟ واني عندما اتكلم عن السواد الاعظم لا انوي اقصاء اولئك الجنود - على درجاتهم - الذين اتخذوا من الحرب حرفة ، واثقين من انهم يعملون للدفاع عن اثمن خيرات شعبهم ومعتقدين ان احسن وسيلة للدفاع تكون احيانا المبادرة بالهجوم

وهاك اول جواب : يتأكد في نظري ان قادة الساعة - وهم اقلية - تتصرف في المدرسة والصحافة وفي غالب الاحيان المنظمات الدينية ، وبفضل تلك الوسائل تفرض هيمنتها وتوجه عاطفة السواد الاعظم فتجعل منه اداتها العمياء .

لكن هذا الجواب لا يفي بعد بتسلسل العوامل الماثلة لان هناك سؤالا آخر يعترضنا وهو هذا : كيف يمكن للسواد الاعظم ان يتاثر بالوسائل التي ذكرناها فيتاجج حماسا الى حد الجنون والتضحية ؟ لا ارى لذلك جوابا سوى ان في النفس البشرية حاجة ملحة الى الحقد والتدمير تبقى كامنة في الظروف العادية ولا تظهر الا في الظروف غير العادية ، وقد تثار بسهولة فتتعفن وتؤول الى نفسية جماعية مرضية ، وهذا هو - على ما يظهر - المشكل الجوهري والسر الدفين لمجموعة تلك العوامل وهذه هي النقطة التي لا يمكن لسوى الخبير الماهر بسر الغرائز البشرية ان يلقي عليها ضوءا .

وهكذا نصل الى سؤال آخر : هل يمكن توجيه النموالبشري بحيث يصبح المرء اكثر مناعة ازاء عقد الحقد والتدمير ؟ وهيهات ان افكر - عند كتابة هذا - في الاميين فحسب ، بل قد جربت بنفسي ان من يوصفون « بالذكاء » هم اكثر الناس عرضة للايحاءات الجماعية الوخيمة . ذلك انهم لم يتعودوا الورود من معين التجربة الحية بل هم على عكس ذلك ينخدعون انخداعا بالورق المطبوع .

وفي الختام اضيف اني لم اتعرض الى الآن لسوى الحرب الاممية او بعبارة اخرى لما يدعى بالنزعات العالمية ، ولست اجهل ان سجية العداء البشري تبرز ايضا بمظاهر اخرى وفي ظروف اخرى - خذ لك مثلا من الحرب الاهلية الناجمة قديما عن اسباب دينية والناتجة اليوم عن اسباب اجتماعية ، او من اضطهاد الاقليات القومية . . . - انما قصدت ادهى النزعات ،هذا الذي يندلع بين المجتمعات البشرية اذ بمعالجتنا لهذا الصنف نتوصل بسهولة اكبر الى معرفة وسائل اجتناب الفتن المسلحة .

وأنا أعلم أنكم أجبتم في مصنفاتكم - مباشرة او بصورة غير مباشرة - على كل هذه الاسئلة المتعلقة بالمشكل الذي نحن بصدد معالجته والذي يلح علينا إلحاحا . إلا أنه لا يخلو من الفائدة ان تتناولوا بالبحث مسألة إقرار السلام في العالم على ضوء بحوثكم الحديثة ، فقد يكون هذا الدرس مدعاة لجهود مثمرة في هذا الباب . مع خالص الود (١)

حرر ببوتسدام في ٣٠ جويلية ١٩٣٣

---

(١) سننشر رسالة « فرويد » في عدد مقبل

ندوة القراء

تعقيب على "تجربة الشابي"

بقلم محمد صالح بن ابراهيم

نشرت مجلة الفكر في عددها الاول (اكتوبر) مقالا للاستاذ البشير الزريبي تحت عنوان « تجربة الشابي » .

شاء كاتب المقال ان يدرس الشابي لا على « طرائق النقد واساليب التناول ومقاييس البحث » اذ « كلها لاتفي بالتشخيص المنشود لتجربة الشابي » وانما على « توضيح فكرة للشابي لا نعدها ام تجربته الشعرية فقط ، بل هي في الوقت نفسه معدة من الوجهة النفسية ركاز عملية تداعيه الفكري في كل اتجاه. »

ويقرر الاستاذ الكاتب ان : « الوقت قد حان لتناول مأثور الشاعر او الاديب بتمامه وكماله على انه يؤلف وحدة تربط بين مواضيعها المتباعدة في الطبيعة والمظهر نظرية عامة او فكرة مرجعية مطردة الوجود في كل عمل أدبي » .

ومن هذا نرى ان الكاتب لا يؤمن بوحدة القصيد فقط ، وانما هو يؤمن بوحدة كل ما ينتجه الشاعر او الاديب على انه مترابط متلاحم لصدوره من منبع واحد .

ذكرنا هذا لنبني عليه ملاحظة هامة عند تطبيقات الكاتب لهذه الفكرة .

ثم ينتهي الكاتب الى اكتشاف الخيط الجامع لكل انتاج الشابي ، او ما سماه الفكرة المرجعية التي يعود اليها كل ما قال الشابي من شعر تقريبا : هذه الفكرة هي ايمان الشابي القوي بوحدة الوجود الاعظم .

ويتمادى الكاتب بعد ذلك في التدليل والبرهنات - كما يقول - على هذه الفكرة التي ابتكرها واستهواه بريقها ولمعانها .

وينتهي آخر الامر الى ابتكار فكرة اخرى بدا له فيها شيء من البريق على ما أظن : هي انكاره كل ما تعارف عند جميع الناس تقريبا من تشاؤم الشابي فيقرر في شيء من الزهو - انه غير متشائم .

تلك هي خلاصة الفكرة المحورية لمقال الكاتب، وكلها تستحق المناقشة والرد:

اما ان طرائق النقد واساليب التناول لا تكفي لتشخيص نفسية الاديب فهـذا صحيح، بما في ذلك طريقة البحث عن الفكرة المـرجعية - كما سماها الكاتب - الا ان ذلك غير مطرد بالنسبة لجميع الشعراء والادباء؛ فقد نكتفي بتطبيق قواعد مدرسية واحدة من مدارس النقد بالنسبة لشاعر ما وقد نعـدد الطرائق والمدارس بالنسبة لآخر، وقد لا تكفي جميعهـا بالنسبة لثالث؛ اذ الامر يختلف باختـلاف ازمنة الشعراء وبيئـاتهم واقـاليمهم والعوامل الادبية التي تأثروا بها والامزجة والنفسيات الخاصة بالنسبة لكل واحد منهم.

ووحدة الوجود!؟ ما هي هذه الوحدة؟

ان الكاتب لم يوضحها بشكل صريح، وان كان الذي فهمته منه: انه يريد بها معناها المتعارف عند المتصوفين.

ولنأخذ في توضيح هـذه الفكرة كما يراها اصحابها لنتبين بعـد ذلك اهي موجودة في شعر الشابي أم لا تكاد توجد حتى ظلالها وأخيلتها فضلا عن وجودها باعتبارها فكرة مرجعية لكل ما انتج الشاعر كما يقول الكاتب:

يقول الحسين الحلاج شهيد الاتحاد بالله: «أنا الحق» ويقول:

انـا من أهوى ومن أهوى انا   نحن روحـان حللنـا بدنـا
فـاذا ابصـرتني ابصـرته   واذا ابصـرتـه أبصـرتنـا

الالوهية قد حلت في الحلاج فـاذا هو والاله شيء واحد، فـلا وجـود اذن لغير الله.

ويقول ابو يزيد البسطامي شيخ المتصوفين لعهده: «اني انا الله لا اله الا انا فاعبدوني» «سبحاني ما أعظم شاني» «اراد موسى ان يرى الله تعالى، وانا مـا أردت ان ارى الله تعالى، هو اراد ان يراني» فهو يعتقد ان الناسوت فيه ليس شيئا يذكر، وكل ما فيه هو اللاهوت، فهو عين الاله بهذا الاعتبار: ف «ما في الجبة الا الله» كما يقول بعضهم.

ومن تبنى هذه الفكرة وآمن بها واودى في سبيلها من الشعراء المعـارضين الرصافي الذي كثيرا ما نراه يبدأ رسائله على هذا النحو: «الحمد لله الذي لا الـه غيره ولا وجود لاحد سواه».

هذه هي فكرة وحدة الوجود كما يراها معتنقوها . فهل نجد لها صورة مشخصة واضحة في شعر الشابي ؟ بل هل نجد لها حتى ظلالا والخيلة قوية الدلالة ؟ سنرى .

لنورد الآن براهنات الكاتب المتعددة على تثبيت هذه الفكرة وسيتضح الحق من الوهم ان شاء الله :

يبرهن عليها اولا بهذا البيت من قصيد الساحرة :

ابدا يحمل الوجود بما فيه كأن ليس للوجود زعيمه

ايدل هذا البيت على وحدة الوجود كما رأيناها عند اهلها ؟! نترك الجواب للقاريء . ولكننا نشير الى ان البيت يمثل في قصيده وحدة متلاحمة في فلسفة اللذة وقتل الاحزان بها والتغلب على هموم الفنان وسآمته بالاغراق في هذه اللذة كما ترى الساحرة .

ولكن الكاتب ينسى ما لاحظناه سابقا من انه يؤمن لا بوحدة القصيد فحسب بل بوحدة انتاج الاديب بتمامه وكماله .

فكيف سوغ لنفسه ان يسلخ بيتا من قصيد موجد بعيد كل البعد عن موضوعه ؟! وكذلك الشأن فيما اشار اليه من قصيدتي « قيود الاحلام » و « احلام شاعر » اذ هما يمثلان حنين الشاعر لحياة الوحدة والانفراد بعيدا عن شرور الناس وآثامهم ، يتملى جمال الطبيعة بحسه الواعي وشعوره الدقيق فيجد لذلك لذة ومتاعا

اما قصيدة « الاشواق التائهة » فهي الوحيدة في نوعها تقريبا ، اذ نجد فيها اضواء باهتة توهم ان صاحبها يؤمن بوحدة الوجود ، يقول فيها بعد ابداء شكه اللافح وحيرته الممضة المتنافيين - كليهما - مع وحدة الوجود بما فيها من استقرار خاطر وراحة بال :

ليتني لم ازل - كما كنت ضوءا شائعا في الوجود ، غير سجين .

هذا البيت الوحيد الموهم ايهاما كبيرا لما ذهب اليه الكاتب لا يدل على اكثر من ان الشاعر يتحرق لان يعود كما كان سابقا في عالم النور حيث الانطلاق والتفلت من سجن الجسد وقيوده . وهذا يدل على ان الشاعر ليس هو الآن ذلك الضوء المتمنى . فاين وحدة الوجود اذن ؟ .

اللهم، اني لم اجدها، وارجو ان يبرهن الكاتب عليها برهنة نفسية - لتخصصه في هذا الفن - حتى لا تخفى على امثالي.

ولا احب ان اتمادى مع السيد الكاتب في استعراض بقية الادلة؛ اذ كلها لا تعدو ان تكون تمنيات شاعر في ساعات يأسه وبرمه، او قلقه في فترات الضعف - من وضعه ومما حوله؛ فراح ناقما على كل شيء نقمة جارفة احيانا متمنيا ان يتخلص مما مسه من ضر بالميل الى الغاب حيث الوحدة الممتعة، او الى جمال الطبيعة الساحر في مختلف اشكاله وصوره ذلك الجمال الذي يشترك في تذوقه والتمتع به - بتفاوت طبعا - كل الناس حتى الذين لا يسمعون بوحدة الوجود هذا اصلا.

على ان الذين عاشروا الشابي ولازموه مدة حياته لم يكتبوا - فيما أعلم، وان كانت المصادر تعوزني الآن - عن ايمان الشابي بوحدة الوجود.

اما نكران التشاؤم عند الشابي، فلا اود ان اطيل فيه الحديث؛ لان الكاتب ينكره ويثبته في نفس الوقت، غاية ما في الامر انه لم يكن مذهبا خاصا للشابي وانما هو - كما يفهم من كلام الكاتب - تشاؤم معلل مبني على اسباب خاصة، ونتيجة لظروف وعوامل خاصة.

واي تشاؤم لا يكون كذلك ياسيدي الاستاذ! ارجو ان ترشدني الى شاعر واحد من شعراء العربية المتشائمين كان تشاؤمه مذهبا اتخذه لذاته وخصص له كل اتجاهه، ولم يكن مع ذلك نتيجة لاسباب وظروف وعوامل خاصة دفعته الى التشاؤم مثل ما عند الشابي تماما، الشابي المتشائم حتى في قصيدة: « السعادة » ولو قلت ان تشاؤم الشابي كان من نوع ممتاز اذ كله تَمَرُّد وثورة وعدم اكتراث وعدم استسلام للضعف البشري وطوارىء النكبات لكان ذلك عند الشابي وعند الحقيقة افضل من انكاره.

واريد ان انبه في النهاية الى ان الدي دعاني لطرق هذا الموضوع هو ما بيني وبين الشابي - رحمه الله - من صلات روحية تجعلني اغار عليه من ان ينسب اليه ما ليس له حتى ولو كان ذلك عن طريق البر بالشاعر والاحسان اليه: لان الشاعر في عالم الحقيقة - الآن - فلا اخاله يميل الى الاوهام.

وختاما اشكر الاستاذ الكاتب على ما اتاحه لي من تجديد صلتي بالفكر وقرائها.

ردّ و إيضاح

بقلم البشير الزريبي

نستسمحك حضرة المعقب الكريم في ان تتفهم هذه الاجابة عن ردودك التي لم تكن لتاخذ منا اي اهتمام لو لا الرغبة الملحة في اغتنام كل فرصة سانحة لتوكيد ما ذهبنا اليه من راي في ابي القاسم واتجاهه العظيم ، ولتوكيد هذا الايمان الراسخ وهذا المعتقد المكين الذي كنا وما زلنا نعلنه ازاء ادب الشابي .

اننا سوف لانضمن اجابتنا هذه مناقشة السيد المعقب في تلخيصه المشوه وعرضه المخل لما تحددنا به من راى في كتابتنا عن تجربة الشابي ؛ كما اننا سوف لا نحاول الوقوف معه في خصوص فهمه للوجهة التي نقدنا منها طرائق البحث واساليب الدرس التقليدي للانتاج الادبي على العموم ، وانما كل الذي سندرجه في هذه الاجابة العاجلة هو مجرد دفع لهذه الاوهام التي نريد الصاقها بحقائق تكاد تكون عيانية لا يرى المجادل فيها والمعترض عليها الامكابرا او خاطئا .

الوهم الاول

فهم السيد المعقب ان معتقد الشابي في وحدة الوجود ذلك المعتقد الفني الصناعي البحت، ذلك المعتقد الادبي الفلسفي، هو معتقد ديني صوفي ومن هنا جاءت تقوله ومحفوظاته لتتبنى عنى توضيحه لحضرات القراء الكرام الذين لا اظنهم الا مجازين مجهوده باجر واحد لا باجرين طالما قد اخطأ في الحدس ولم يصب في فهمه لوحدة الوجود التي وقع تبيانها منا وتوضيحها بالشكل الصريح

واننا لا نريد احالة السيد المعقب الى المقال حتى يعيد فيه « السلكة الثانية » عله يهتدي لمحتواه مليا ويتفهم المقصود منه في شيء من الامعان والتروي بل هذه مقتطفات تفيه بالحاجة نقتطفها من المقال لنبين بها للسيد المعقب ان الفكرة المرجعية وقع تفسيرها وتوضيحها من جهة ومن اخرى لنعطي برهانا على وهمه الخاطىء في تبنيه لتوضيح شيء لم يرد شيء يشير اليه في مقالنا قطعا .

« فالشابي في مواقف الاخفاق والانهيار مثلما هو في مواقف النصر والتوفيق يؤول ويعود الى العالم المطلق الى الطبيعة تلك الام التي يجد في الاستسلام

اليها والانسياق مع نواميس كينونتها كل ما يتطلع اليه المكتئب من عميم السلوى وبشائر الائتناس ، فهو يستودع احزانه ويستهل نشوته في اتحاده باصله والتجوء الى عوالمه الزاخرة التي حوت كل شيء ، انه بامكانه النيل منها والظفر منها بكل مطمح طالما هو يعتقد وان صلته بها وراثية ازلية . فهو على ما نراه يجد في اتحاده او توحده بالطبيعة في صورها المواتية لحالته ، الموافقة لمزاجه المتقلب خير حل لاصرعته النفسية والفكرية التي يكابدها . فهو في معالجته للمواضيع المختلفة يستوحي خرائد فنه وعرائس شعره من طبيعة هذه الفكرة الموجهة التي تملي عليه تفسير ما يعترضه من معضلات الوجود ومشاكله بما قد يشابهها او يدانيها من صوره الاخرى . فالوجود الأبدي هو بهذا المعنى مصدر وحيه ومنبع الهامه ، والاعتقاد في الوجود الابدي في وحدته الازلية الخالدة هو الذي جعل الشابي يلتجيء اليه بحثا عن متشابه الصور ومتقابل الاحداث حتى يفسر بعضها ببعض ويعالج بنفسه موضوعا من مواضيعه في تمثله ذهنيا كان لو كان عين الموضوع الذي له به كبير الشبه ووطيد الاتصال . فالشابي بفكرته المرجعية اصبحنا ننظر لكل عمل من اعماله على انه متمخض عن عملية نفسية تستدعي منه اتحاده بالوجود ففي هذه العملية الاتحادية اجواء الالهام والابداع وآفاق الخلق والتعبير »

هذه فقرة اوردناها في مقالنا أليس فيها توضيح للفكرة المرجعية يا حضرة المعقب ؟! . . . انها صناعية فنية . . انها فكرة ائتلافية تحدد معرفتنا لطبيعة التجربة الشعرية التي انتهى اليها الشابي في اطارها التكاملي . . انها فكرة ليست من قبل المستدعيات الفكرية التي توحيها آراء شاعرنا نفسه في موقف من مواقف تجربته بل هي جوهر آرائه وام فكره وتاج اعماله الادبية كلها

« فالشابي في هذه القصيدة يجسم لنا المجردات تمشيا مع معتقده المبدئي في صناعة الشعر ذلك المعتقد القائل بان اي موقف واي حدث له ما يناظره ويشابهه في الوجود الاكبر او الطبيعة وما على الفنان او الشاعر الا ان يتحسس هذه النظائر والاشباه في الاتحاد الذهني او التصوري بعوالم الطبيعة التي هي صور متشابعة على الرغم مما يبدو عليها من جسيم التناقض والتعارض . ففي هذا الاتجاه يرى الشابي على ما هو واضح من شعره ، امكانية الخلق الفني وامكانية الاجادة والابداع وامكانية تلقي الوحي الابدي »

هذا مقطع آخر أليس فيه تفسير للفكرة المرجعية التي هي ليست بصوفية كما وهمت سيدي المعقب المحترم بل هي كما ترى فكرة فنية صناعية عنها يتملى الشاعر وحيه ومستدعياته الشعرية ثم لتحاول اعادة قراءة هذه الجمل الاخرى التي هي غنية عن التعليق في انها توضح توضيحا صريحا مقصودنا الذي هو معتقد الشابي نفسه في هذه الوحدة الوجودية او هو رايه المرجعي في كل انتاجه .

« فالشابي في تداعيه الفكري الشعري - كما يبدو من خلال قصائده - لم يكن الا متأثرا بهذه الفكرة الفنية التي تدفع به الى الشعور بعناصر الوجود واحداثه في اطار تلك الوحدة المتماسكة التي تجعل هذا الشيء مفسرا بذاك ، وهذا الحدث منظور اليه في صورة ائتلافية اقترانية مع ما يقاربه او يشابهه او يطابقه من صور الوجود واحداثه اللانهائية » .

اليس في هذا الكفاية لتوضيح هذه الفكرة المرجعية يا حضرة المعقب الحصيف أفلا تتدبر ؟ ! ثم انا نراك في حرج من تخلف المراجع عليك وتباعد المصادر والمستندات عنك ففي ما حرجك والموقف لا يتطلب منك الا اعمال الذهن في ما هو بين يديك من تراث الشابي نفسه .

فنحن اذ ذهبنا إلى ما لم يهتد الى تعاقبه السيد المعقب لم نستند الى ما تواتر عن الشابي بين أصدقائه الاكارم او ما خص به بعضهم من كوامن نفسه ودفين اسراره بل اعتمدنا مقولاته وآثاره التي وجدناها مناهل ثرة وحياة متجددة بما جعلنا نستلهم اسرارها مباشرة في شيء من الوثوق والاعتداد بانتاج ابي القاسم وبانفسنا - على ان اصدقاء الشابي المحترمين لم يكتبوا ولم يتفرغوا لعذر او لآخر ليسجلوا لنا كل ما بانفسهم ازاء صديقهم ثم هم ليسوا بافصح ولا بادق تبيانا لما هو بقرارة نفسه من لسان نثره وترجمان شعره الذين حويا كل شيء وافصحا عن كل شيء .

ثم ما هذا النقد المعوج في مؤاخذتك لنا من حيث انا ذهبنا في رأينا ازاء الشابي الى وجهة لم يأت على السنة اصدقاء الشابي او في كتاباتهم عنه اي اشارة اليها فهذا ما لا قائل به فلماذا ومتى كان المنتظر من النقاد هو مسايرتهم او موافقتهم للسابقين عليه - فمتى بدا لامرء من الرأي ما لا يوافق فيه جميع الاسبقين عليه فليس معنى هذا انه الخاطىء وغيره المصيب - فالمعاصرة الزمنية والمصافحة اليدوية لا تعني شيئا

في عرف معاصرة الراي للراي ومصافحة القلب للقلب فلقد تكاثر اصدقاء الشابي عند ما اصبح الجيل قادرا على فهم آرائه وفك رمزيته ومصافحة قلبه النابض بالحياة اما في العهد الذي قضى وانقضى فلا اذن سمعت ولا عين رات ولا بصيرة عقلت سوى عدد ضئيل وضئيل جدا استطاع ان يحلق في اجواء الشابي واستحق صداقته بحق وحق له بالتبع لذلك ان يغار عليه وان يستبسل في الذود عن مباديه ومراميه

الوهم الثاني

آخذنا السيد المعقب على اننا التزمنا بمبدا في بداية المقال ثم لم نلبث حتى نقضناه وتخطيناه في اثناء التحرير . هذا المبدأ هو القول لا بوحدة القضية فقط بل بوحدة الانتاج كله يرى السيد في تعقيبه اننا لم نتحدد بهذا الالتزام عند ما اخذنا بيتا شعريا مفردا ودليلنا به على صحة ما ذهبنا اليه من راي في اعتقاد الشابي بوحدة الوجود كفكرة مرجعية لكل مواقف تجربته . لا ياحضرة المعقب هذا ما لا يوافقك عليه كل ذي صحة عقلية سليمة ذلك لاننا اوردنا في مقالنا ما اهملت قراءته او انك قرأته ونسيته او تناسيته عند كتابة التعقيب . فكل ما اوردناه من دلائل وشواهد عديدة ومتنوعة من شعر الشعراء لم يكن التنصيص عليها وذكرها بغير التدليل على صدق راينا في المعتقد الفني للشابي الذي حللناه ووضحناه فقدحنا بكل الشواهد المذكورة على سبيل المثال لما هو موجود او مطرد الوجود في كل اثر من آثار الشابي النثرية والشعرية على السواء . فقد لخص السيد المعقب الفكر المحورية - كما يسميها - بما يتعارض مع مؤاخذته لنا فهو يذهب الى اننا قلنا بان هذه الفكرة المرجعية هي ليست ام تجربة الشابي فقط بل هي ركاز عملية تداعيه الفكري في كل انتاجه ثم هو يحبر بقلمه ان هذه الفكرة التي حللت اليها شعر الشابي هي مطردة الوجود في كل عمل ادبي فكيف به يعتني بتخطى مبدا القول بوحدة الانتاج في الاستدلال ببيت مفرد على معتقد نحن قلنا اولا وآخرا انه مطرد الوجود والملامح في كل اثر ادبي على الاطلاق . ان السيد المعقب يقتطع مثلا من امثلة التدليل على ما هو شائع الوجود في كل التراث الادبي للشاعر ويزعم اننا قد تملينا رأينا في الشابي من بيت مفرد . لا ابدا ، اننا اوردنا كل ما اوردنا من شعر الشابي في مقالنا من باب الاستشهاد على ما هو موجود بكل شعره ونثره على الاطلاق . ففي مقالنا ردنا مالا يقل عن خمسة عشر موقف للشابي كان فيها متأثرا بما فهمه السيد

المعقب من بيت واحد وعجز عن فهمه من البقية الباقية من الشواهد والادلة بدعوى انه لا يجب ان يتمادى مع السيد الكاتب في استعراض بقية الادلة اذ كلها لا تعدو ان تكون تمنيات شاعر الخ . . . فالسيد المعقب ضرب صفحا عن ادلة لم يقتنع او لم يهتد الى دلالتها في موضوع الاستشهاد الذي لم يتصوره معقبنا اصلا كما ابنا ذلك

الوهم الثالث

التشاؤم عندنا ليس هو كما تعتقد ويعتقد الكثير مجرد مسحة يكتسي بها شعر الشاعر او انتاج الاديب بحيث يرى فيه الدارس صورة قاتمة لمشاعر مؤلمة واحاسيس مرة وليس في شكاية الشاعر من دهره ومصيره او تبرمه من حظه العاثر ووسطه العاقر عندنا بل هو فكرة الاديب نفسه في عنصري اللذة والالم فاننا بدراستنا لتراث الاديب وقفنا على انه يرى بان لا خيار للانسان في مشكلتي اللذة والالم هكذا تمشيا مع معتقده في وحدة الوجود فلا هو بمعتقد في الالم كما فعل الشاعر « الفريد دي موسي » في قوله « الانسان صانع والالم معلمه » » وفي قوله « لا يعرف الانسان حقيقة نفسه الا اذا تألم . ولا شيء كالالم العظيم يجعلنا عظماء » كما انه لم يعتقد في اللذة على انها مبدأ الحياة كما هو موقف «استيوارت ميل» و« سبنسر » وايليا ابي ماضي فيها بل نجد موقفه وسطا بينهما كما ابنا ذلك في مقالنا معززين خطانا بمستندات لا تقبل الشك ولا يأتيها الوهم .

الوهم الرابع

واخيرا لي ملاحظة ازاء ما تدعيه من غيرة على الشابي نظرا لما تربطك بهمن اواصر الاخوة وروابط الصداقة . اننا اذا صدقنا انك كنت من هؤلاء الاصدقاء الذين لهم حقا وشائج التآخي مع شاعرنا الفقيد في الفكرة والمذهب الادبي بما لا يستطيع احد نكرانه قلنا اذا صدقنا ذلك فاننا نريد ان نسألك يا حضرة المعقب باعتبارك صديقا او معاصرا للشابي ان تجيبنا من هم اولئك الذين عاصروا الشابي واحتك بهم وكان له في احتكاكه بهم عظيم الخيبة وجسيم البلوى ؟ فهل تقدم للرأي العام احد منهم بوجهه الحقيقي بعد هذا النصر الباهر الذي احرزه ادب الشاعر العظيم؟ بلى يا حضرة المعقب انهم كثيرون تقدموا . . تقدموا للرأي العام لكن مقنعين بعواطف نقيضة للتي كانوا يعاشرون بها أبا القاسم رحمه الله . تقدموا واعلنوا عن انفسهم بعواطف تشبه عواطف الغريم التي يثيرها موت غريمه او بعواطف تقترب من مشاعر الاعتزاز التي يبديها الند المنافس عند ما يرى اجماع الكل على نصرة نده وعند ما يرى في مجرد التعرف على منافسه الاغلب واعلان هذا التعرف كل الفخر وعظيم التقدير والمكانة .

بريد القراء

عظيم بالاجماع

بقلم حمادي السنوادي (عوسجة)

يقولون : ان العظمة والاختلاف مقترنان متلازمان ! ..

ويقصدون بهذا القول : ان العظيم من البشر لا بد ان يكون له انصار وخصوم ومؤيدون ومعارضون ، ويؤيدون مذهبهم ، هـذا ، بما يقص التاريخ ، فللامام علي ومعاوية ... وعبد الرحمن الداخل ... مؤيدون ومناهضون وللمتنبي وابي العلاء.. وشوقي والشابي محبون ومبغضون ، ولغير هؤلاء من عظماء البشرية شيعة واعداء .

والحق ، ان هذه القاعدة مطردة في قصص التاريخ ! لا يكاد يشذ عنها عظيم من عظماء بني آدم ، بل لم يشذ عنها الا شخص واحد ، تحصل على محبة الناس جميعا وعلى تاييدهم ، المطلق ، المفعم بالاكبار والشكر .

وشاءت الاقدار الا يكون هذا العظيم من الفلاسفة الذين كرسوا حياتهم على فحص الكتب ، والادمان على النظر فيها ، ثم البحث على ما في العالم من مشاكل غامضة يتطلب ايضاحها انهاك العقول ، وسبر النفوس بمخبر الصبر ، كما شاءت الاقدار الا يكون عظيمنا ، هذا . . ، محرزا على شهائد ممتازة ربما لا يستغرب من المتحصل عليها ، ان يصل في سلم العظمة الى اسمى درجة فيها ، ان صح ان درجات العظمة لها حد !! . بل اكتفت منه بالاحراز على شهادة ابتدائية ، من مدرسة ابتدائية . ولعل هذا ابلغ ضرب من ضروب سنة الكون في طريقة اعجاز البشر بالمفاجآت غير المنتظرة شاب يحرز على شهادة ابتدائية ، يقود امة ـ من بينها دكاترة في القانون وفي الطب

وفي الاداب ـ في وقت محدود من الزمن ، في وقت عصيب جدا ، مـا هي المعجزة في زمننا هذا ان لم تكن هذه ٠٠٠! ؟ ومن هو العظيم في ذلك الزمان القاتم الحرج ان لم يكن ذالكم الشاب العظيم !؟

ربمـا يقول قائـل : ان المعجزة ـ في هذا الزمان هي ـ خرق الفضاء السماوي ومعرفة اسرار الكواكب والاقمار ، وان العظيم هو الذي « باض » القنابل التحطيمية وازال الغطاء عن بعض المجاهيل السماوية ٠

وهو قول صحيح ، واعتراض رشيد ، اذا كنا في امريكا او موسكو او حتى فرنسا ولندن ، اما اذا كنا في تونس الرازحة تحت الحكم الاجنبي في ذلك الزمـان والتي زج بابطالها في السجون والمنافي والمحتشدات ، وحيل بين ابنائها الطلقاء وبيـن التفوه بكلمة الحرية ٠ اما اذا كنا في تونس في ذلك الوقت فـان المعجزة هي ان نجد قائدا يقود الامة ، وان يكون هذا القائد شابا محرزا على الشهادة الابتدائية ، في محيط مفعم بـ« العلماء » الطلقاء ٠

ولعله من المفيد ان يعرف القارىء ، ان عظيمنا هذا ، ولد في سـنة اندلعت فيها اول حرب عالمية عرفتها البشرية في حياتها أي سنة ١٩١٤ ، ومات في آخر حرب عرفتها بلاده في مقاومة الدخلاء أي دسمبر سنة ١٩٥٢ ٠

لعـل ولادته في سنة حـرب واستشهـاده في سنة حـرب يقوم دليـلا على ان « حشـاد » العظيم لم تـرد بـه الاقـدار ان يكـون رجـلا « عـاديـا » ، وانمـا ارادت ان يكون رجـلا ممتـازا ٠ ولعل ممـا يعضد حجتي على عظمـة فرحات الممتازة اختيار اولئك الذين تعفنت ضمائرهم ، وعمت بصائرهم ، حـتى فر من رائحتـهم النتنة الرشد ، اختيارهم له دون سواه ليوجهوا له افواه رشاشاتهم ، ولعل شهرته العالمية ، تغنيني عن بيان شهادة معلميه فيه ٠ وعن اجماعهم على كمون الـذكاء والنبوغ والفطنة فيه ٠ ولست اريد ان اتعرض الى كفاح حشـاد العظيم لمنظمة « س . ج . ت . » واحداثه « فراغا » حولها . وتكوينه لمنـظمات مستقلة تونسية صرفـة ، تحتضن المسلم وغير المسلم على حد السواء . لست اتعرض الى هذا لان فرحـات اشهر

من ان يعرف بوطنيته ، وانسانيته العصية عن التعصب الديني والجنسي ، فالله قد خلق الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا ، لا كتلا واجناسا ليتخاصموا ويتنابذوا ، فيتقاتلوا !

وقول الله هو شرعة فرحات في كفاحه • كما اريد ان اتحدث عن « فرحات الصياد » لان كل الذين عرفوه سواء معرفة شخصية او عن طريق الجرائد والمجلات مجمعون على ان فرحات متقن لكل صناعة احترفها ومخلص لها منتهى الاخلاص • يثبت اتقانه وبراعته لكل حرفة احترفها شهادة معلميه فيه وشهادة الذين رأوه يصطاد ، والمشرفين على الادارات التي عمل بها ، والمنتخبين الذين جددوا له البيعة بالامانة العامة للاتحاد العام التونسي للشغل والذين اختاروه عضوا في « المنظمة النقابية العالمية الحرة » ورجال « الاربعين » والزعماء الاحياء منهم والاموات ، وكل شخص من غير هؤلاء عرف فرحات ، من العامل البسيط الى الموظف السامي •

كل اولئك مجمعون على ان فرحات كان متقنا لكل حرفة احترفها ، وكل اولئك متفقون على ان فرحات كان مخلصا منتهى الاخلاص لوطنه ، محبا كل الحب لمواطنيه صادقا كل الصدق في اقواله وافعاله ، منكرا كل الانكار لذاته ، رائده المصلحة العامة في اصدق معانيها وانبلها ، وبالجملة ، فان كل الذين عرفوه متحدون على انه رحمه الله ، عاش عظيما ، ومات عظيما ، وسيبقى عظيما في القلوب الى ان يرث الله الارض ومن عليها •

عوسجة ــ حمادي الذوادي

نشيد الوداع

للشاعر البلغاري NICOLAS VAPTZAROV
ترجمة محمد الصالح الحروفي (رمادة)

- الى زوجتي -

سأمر في حلمك بعض الاحيان .
كالزائر البعيد غير المرتقب
لا تتركيني وحيدا امام دارنا ۰۰۰۰ فوق الطريق
لا تغلقي الابواب في وجه زوجك ۰۰۰۰
سأدخل بدون اي صوت ۰۰۰۰
وسأجلس بهدوء
والاعين راسخة تشق الظلام ۰۰۰
لترى وجهك ۰
وعندما اكون قد رايتك وافنيت فيك النظر
سأقبلك قبلة الوداع ۰۰۰۰۰ وارجع *

* كتب الشاعر هذا القصيد وهو في السجن ساعة واحدة قبل ان يقوده جلاده الالماني الى المشنقة وكان ذلك يوم ٢٣ جويلية ١٩٤٢ بسوفيا -

أصداء الفكر

• مرحبا بالزعيم علال الفاسي

زار تونس منذ ايام مدعوا من طرف فخامة رئيس الجمهورية التونسية المجاهد الاكبر الحبيب بورقيبة رئيس حزب الاستقلال المغربي وزعيم المغرب الكبير الاستاذ علال الفاسي . والى جانب زياراته الى بعض جهات الجمهورية واتصاله بإخوانه رجال الحزب الحر الدستوري التونسي والمنظمات القومية ألقى علال الفاسي تحت إشراف كتابة الدولة للتربية القومية محاضرة قيمة بعنوان « هدف الساعة » وقد نشرتها كاملة الصحف اليومية بتونس .



ونحن اذ نرحب بالزعيم السياسي الفذ لا يفوتنا أن نقدم للمفكر علال تحية فكرية جميلة إكبارا لادبه الجم وتفكيره الخصب ، هذا التفكير الذي لم يفصله قط عن العمل ، ذلك انه أدرك رسالة المثقف وتضامنه مع مجتمعه فأبى الا ان يكون كفاحه الروحي الثقافي مقرونا بالنضال السياسي فأظهر في ذلك من الشجاعة الادبية والخلق الجميل والايمان العميق ما اعترف له به مواطنوه والاجانب انفسهم .

ولا يسعنا تعبيرا عن إعجابنا وتقديرنا الا نشر رسم للاستاذ علال الفاسي أرسله إلينا بهذه المناسبة الشاب الموهوب محمد عميش من مدرسة التمثيل العربي مع تشجيعنا لصاحب الرسم وشكره .

● مؤتمر اليونسكو العاشر

افتتحت منظمة اليونسكو دورتها العاشرة بباريس يوم ٤ نوفمبر برئاسة الدكتور . . . *Sarvepalli Rad* نائب رئيس مجلس الوزراء الهندي . وقد القى الدكتور بهاته المناسبة خطابا افتتاحيا بين فيه ضرورة العمل المشترك في النطاق الدولي حتى يحل التفاهم العملي المثمر محل الخوف المخيم على العالم الآن والناتج عن تعايش قوى متقابلة متعادية .

ومن المعلوم ان وفدا تراسه الاستاذ محمود المسعدي كاتب الدولة للتربية القومية والشباب والرياضة لا يزال يشارك باسم الجمهورية في اعمال هده المنظمة الثقافية العالمية . ومنذ عودة السيد كاتب الدولة الى تونس تراس الوفد التونسي الاستاذ العابد مزالي الكاتب العام للجنة القومية التونسية لليونسكو والكاتب العام لكتابة الدولة للتربية القومية .

هذا وقد علمنا ان رئيس وفد المغرب الاقصى الشقيق وعميد الجامعة المغربية الاستاذ محمد الفاسي قد انتخب عضوا بالمجلس التنفيذي لهذه المنظمة .

● ندوة البحر الابيض

عقدت في اواخر هـذا الصيف (ندوة البحر الابيض المتوسط) بفلورنسا تحت اشراف رئيس بلديتها الم . لابيرا . وقد حضر عددمن الكتاب والصحفيين ورجال السياسة واساتذة الجامعات وممثلو مختلف الاقطار الواقعة على ضفاف البحر الابيض المتوسط ـ ومن بينها تونس ـ وكانت هاته الندوة ترمي الى ايجاد اسباب التفاهم الاخوي بين الشعوب وبين الاديان الثلاثة : الاسلام والمسيحية واليهودية في نطاق الاحترام المتبادل ـ وقد نجمت في اول الاجتماع بعض القلاقل بين ممثلي فرنسا وممثلي الجزائر لكن سرعان ما سويت هاته الخلافات واستقر عزم الممثلين على تغليب العقل على العاطفة والسمو بالمناقشات الى مستوى النزاهة والتجرد مما ساعد هاته الندوة على تقريب الشقة وبث روح المحبة بين مختلف الشعوب والامم ـ

ومعلوم ان الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب رئيس المعهد القومي للاثار ترأس الوفد التونسي والقى موضوعا طريفا بهذه المناسبة .

● مؤتمر ادباء العرب الرابع

نشرنا في عددنا الماضي اخبارا تتعلق بانعقاد المؤتمر الرابع للادباء العرب بالكويت وبجدول اعماله. وقد بلغنا في هذه الايام ان توزيع المحاضرات تقرر على النحو التالي :

١) البطولة كما يصورها الادب الجاهلي: مندوب من السودان ويعلق على حديثه مندوبان من الاردن والسعودية .

٢) البطولة كما يصورها الادب العربي بعد ظهور الاسلام حتى سقوط بغداد: مندوب من العراق ويعلق على حديثه مندوبون من المغرب واليمن ومسقط .

٣) البطولة كما يصورها الادب العربي في الاندلس وشمال افريقيا : مندوب من تونس ويعلق على حديثه مندوبون من ليبيا والعراق وقطر .

٤) البطولة كما يصورها الادب العربي بعد سقوط بغداد حتى بداية القرن التاسع عشر : مندوب من الاقليم السوري ويعلق على حديثه مندوبان من البحرين والجزائر .

٥) البطولة كما يصورها الادب العربي الحديث : مندوب من لبنان - ويعلق على حديثه مندوبان من فلسطين وتونس .

٦) البطولة في ادب الاطفال : مندوب من الكويت - ويعلق على حديثه مندوبان من الاقليم المصري ولبنان .

٧) البطولة كما يصورها الادب الشعبي : مندوب من الاقليم المصري ويعلق على حديثه مندوبان من الاقليم السوري والمغرب .

● تونس في المؤتمر العالمي للموسيقى

شاركت تونس في مؤتمر الموسيقى الذي عقده المجلس العالمي للموسيقى التابع لليونسكو من ٢٤ اكتوبر المنصرم الى ٣١ منه وقد مثل الجمهورية التونسية الاستاذ صالح المهدي رئيس مصلحة الفنون الجميلة بكتابة الدولة للتربية القومية . ومن الجدير بالملاحظة انه لم يشارك في هذا المؤتمر العالمي من دول الشرق الاوسط الا تركيا وإيران - الى جانب تونس التي كانت الدولة العربية الوحيدة المشاركة .

وقد القى مندوبنا محاضرة أولى بين فيها ان الموسيقى العربية وخاصة في تونس والمغرب العربي تنقسم من حيث سلالمها الى ثلاثة اقسام :

١) ما نشترك فيه مع الغرب (سلم المزموم والعجم ومحير السيكاه ...) .

٢) ما نشترك فيه مع بعض بلدان الغرب خاصة اسبانيا والبلقان ... وسلالم هذه النغمات لا تشتمل من التجزئات الصوتية الا المقام ونصفه . على ان لنا في هذا النوع من النغمات ما نختص له مع الشرق الاوسط (النوائر - الزنكولاة الكردي أثر) .

٣) ما هو من ميزات الموسيقى العربية مع الشرق لا غير وهذا يشمل ارباع المقامات . كما القى بيانا آخر اكد فيه ان الموسيقى العربية اخذت لونا خاصة في المغرب العربي بسبب اختلاطها بالعنصر الاصلي للبلاد اي الموسيقى البربرية ؛ وان الاندلسيين ادخلوا على السلم العربي طرقا جديدة واخذوا حتى من أسلوب زنوج افريقيا (نوبة الراست العبيدي الاندلسية) .

واثناء جلسة برئاسة مندوب تونس الاستاذ صالح المهدي قدم عالمان من علماء الطبيعة البارزين وهما الاستاذ فوكر نائب هولاند والاستاذ ويشنفرادسكي مندوب فرنسا اساليب جديدة في تجزئة المقام الصوتي فقسمه الاول الى خمسة اجزاء والثاني الى اربعة وقدم كل منهما قطعا موسيقية ملحنة على تجزئاته ولكن الحاضرين لم يستسيغوا هذا النوع من العمل فتكلفت لجنة فرعية باعادة النظر في المنازل الموسيقية .

وفي جلسة اخرى حلل الاستاذ المهدي الاوزان الموسيقية وبين كيف يقع استخراجها من اوزان الشعر العربي واعطى امثلة لذلك فقارن وزن المتقارب بوزن اثنين الموسيقي والرجز بوزن خمسة والخفيف بوزن ثمانية عشر وقال ان الوزن عندنا اوسع دائرة مما هو في الموسيقى الغربية ثم تطور الى ان صارت دائرة الوزن الواحد تفوق المائتي وحدة زمانية .

وفي الجلسة الخامسة حيث بحثت مسألة الآلات الموسيقية قدم مندوبنا الناي والقانون وعلى الجملة فان تمثيل تونس في هذا المؤتمر كان ايجابيا مشرفا وان تونس خصوصا بعد مشاركتها في مؤتمر « كوبنهاغ » الذي اخطنا القراء علما بموجز لاعماله ولنشاط المندوب التونسي فيه اصبحت محط الانظار ومحل التقدير لذا يجب مضاعفة الجهد والاخذ بيد مصلحة الفنون وتشجيع الفن واهله في هذه الديار كي تنهض بهذا الجانب الخطير من ثقافتنا القومية ونبعثه بعثا .

● في رياض التعليم

علمنا ان الجزء الاول من كتاب « في رياض التعليم » لزميلنا عبد الرحمن ابن للونه متفقد المدارس الابتدائية بتونس الاولى سيبرز قريبا ونحن نزف هذا النبا الى اسرة التعليم الابتدائي اذ يحتوي هذا التأليف على نصائح فنية مستوحاة من الواقع المدرسي التونسي وعلى محاضرات صناعية كان القاها الزميل في اوساط ضيقة من المعلمين التابعين لمنطقته ونحن نعتقد انها ستكون خير دليل لكافة المعلمين في فصولهم . والجزء الثاني الذي يشتمل على هذه المحاضرات هو الآن تحت الطبع . فانتظروا عما قريب صدور الجزء الاول من هذا التأليف .

● افريقيا في طريق الاستقلال

لا يزال زحف الشعوب نحو الاستقلال مستمرا ، فما كادت ستة اشهر تنقضي على مؤتمر عكرا (افريل ١٩٥٨) حتى عبر شعب غينيا عن ارادته في التحرر وتقرير المصير وقد زارت بعثة صداقة تونسية ترأسها الاستاذ محمد المصمودي وضمت ممثلين عن المنظمات القومية هذا البلد وبلغت رئيسه السيد سيكوتوري عطف الشعب التونسي وتضامن حكومته .

كذلك اعلن في ١٤ اكتوبر من هذه السنة عن ميلاد جمهورية مدغشقر وفي ١٥ اكتوبر اعلن ايضا في الامم المتحدة ان استقلال بلاد الطوغو سيصبح ناجزا في سنة ١٩٦٠ . وفي ٢٥ اكتوبر اعلن في لندن ان استقلال « نيجيريا » سيدخل في حيز التنفيذ في غرة اكتوبر ١٩٦٠ .

وهكذا يسير التاريخ دوما الى الامام وتظهر الامكانيات العظيمة امام شعوب افريقيا التي سوف تخرج بفضل جهاد ابنائها وثقتهم في انفسهم من ظلمة التقهقر وسواد الرجعية وتلتحق بركب الحضارة وتساهم في بناء عالم افضل وحياة اجمل .

● مجلة « الفكر » العراقية

جاء في زميلتنا « الاديب » البيروتية في عدد سبتمبر الذي لم يصلنا الا في اوائل نوفمبر انه صدرت في بغداد مجلة جديدة تحمل عنوان « الفكر » ويرأس تحريرها الاستاذ محمد جواد الغبان وهي مجلة فكرية شهرية .

ونحن اذ ننقل الخبر نرحب بالزميلة الجديدة ونرجو ان تخدم معنا الادب العربي والفكر الانساني .

● احتفال بالرصافي

وعن نفس المصدر علمنا ان الركن عبد الكريم قاسم رئيس الحكومة العراقية يعد مشروعا لاقامة احتفال عالمي كبير للشاعر معروف الرصافي في يوم ذكرى وفاته اي ١٦ مارس ١٩٥٩ على ان يشترك في اللجنة التحضيرية للاحتفال عدد من الادباء والشعراء والمفكرين في العراق والبلاد العربية وبعض المستشرقين وسينحت بعض النحاتين العراقيين ايضا تمثالا للرصافي بهذه المناسبة . وسيدعى لحضور الاحتفال الف شخصية فكرية من مختلف الاقطار .

● جاء في نفس العدد من مجلة «الاديب» الغراء ان عدد المدرسين المصريين المعارين لبعض الدول العربية من وزارة التربية والتعليم بلغ حوالي ٤٠٠٠ مدرس

● سلامة موسى بعد موته

كنا اخبرنا في العدد الاول من هذه السنة عن وفاة الكاتب الاديب سلامة موسى ولخصنا في هذه المناسبة المؤسفة حياة الفقيد وذكرنا اهم مؤلفاته .

وقد افادتنا الانباء الواردة من القاهرة بان الفقيد لفت انظار الاوساط الادبية بموته وذكرهم بوجوده ! وحظي بتقدير كبير لم يحظ بمثله ولا بأقل منه لما كان بقيد الحياة .

فقد اقام اتحاد الادباء في القاهرة حفلة تأبين تحدث فيها يوسف السباعي والدكتور لويس عوض ومصطفى السحرتي ، واقامت جمعية الشبان المسيحية حفلة تحدث فيها كل من السادة : محمد زكي عبد القادر وراشد رستم ونجيب قلادة ووديع فلسطين وخالد الجرسوني ومحمد عبد المنعم خفاجي وحليم متري ورفيق مقصود والقى كلمة الاسرة الدكتور رؤوف سلامة نجل الفقيد .

واقام المركز السوفيتي للعلاقات الثقافية حفلة اخرى تحدث فيها عبدالرحمان الشرقاوي وعبد الرحمان الخميسي ويوسف احمد حمودة . واقترح الدكتور شكري المراغي رئيس لجنة التنظيم بجمعية الشبان إعداد قاعة يطلق عليها اسم الفقيد ، وإقامة تمثال نصفي له ، وإنشاء مكتبة باسمه .

كما اقترح الاستاذ توفيق حنبا منح الدكتوراه الفخرية باسم سلامه موسى ،

واطلاق اسمه على احدى قاعات المحاضرات ومنح مؤلفاته العلمية جائزة الدولة للعلم ومنح اسمه العضوية الشرفية في مجمع اللغة العربية .

واقترحت نقابة الصحافيين ايضا اطلاق اسمه على احد الشوارع في طة مساكن الصحافيين . . .

هكذا يتهافت الادباء في مصر على الاعلاء من شان الفقيد سلامه موسى . . . وهكذا يمنح جائزة الدولة للعلم . . . ويمنح العضوية الشرفية في مجمع اللغة العربية . . ولاشك ان كل ذلك يدخل على روحه شيئا من الارتياح . . . والتعزية ويطمئن الادباء الاحياء ، هنا وفي كل مكان، بان المعاصرين سينصفونهم بعد موتهم لا محالة فاذا هم عيل صبرهم ولم يعودوا يطيقون ما يحسون بـه من الـم بسبب تنكر مواطنيهم لهم وازورارهم عنهم وزهدهم في تقدير مؤلفاتهم . . . لا يبقى لهم الا ان يسألوا الله ان يعجل . . . بساعتهم !! . . .

● كيف يكون الاديب ملتزما

تحدث « فرانسوا موریاك » في مذكراته في مجلة « لاكسبراس » عن مشكلة الالتزام ورد على قول لجاك دي لاكريتال *(Jacques de Lacretelle)* الناقد الفرنسي ذي النزعة اليمينية . ويتضح من حديث موریاك معنى كلمة *engagement* بصفة مدققة ، فهي لا تطابق تماما كلمة الالتزام عندنا لان في الالتزام معنى اللزوم والتقيد . وانما نلمس في مفهوم *l'engagement* تحمس الاديب لقضية سياسية او اجتماعية او انسانية وتطوعه من تلقاء نفسه غير مجبور ولا مكره لخدمتها بالقلم او بالسيف ، قال موریاك :

يقول «جاك دي لاكريتال» في الفيغارو الادبية:« إن السياسة اذا ما القى الفنان بنفسه في نسيجها تعمل عمل العنكبوت . فهي لا تقتله بل تطعنه في صميم كيانه ولا تبقي له مبررا في الوجود . والامثلة على ذلك كثيرة نستمدها من الماضي والحاضر ، حقا ؟ فشتوبريان ولا مرتين وبنجامان كونستان وهيجو (هذا اذا ذكرنا اشهر الادباء) هل تراهم خسروا ام ربحوا ان هم لم يعرضوا عن امتهم وتاريخها وعن شعبهم وآلامه ؟ هل كان زولا (Zola) على باطل عندما رمى بحراقته المشهورة « إني أتهم »،وهل اضر ذلك بسمعته ؟ ألم يكسب ذلك جميع مؤلفاته اشراقا جديدا ؟ اما في يومنا هذا فاننا نجد في جملة الاحياء اديبا كمالرو

له مؤلفات هي من اجل الآثار الادبية وهي - على ما اعتقد - وليدة التـزام نفس فتية لخوض غمار هاته المعركة الروحية الدامية التي تتصادم فيها الاجسام والارواح معا. نعم ان مثل هاته المؤلفات تسمو عن السياسة غير ان هذا لايمنع السياسة ان تمتزج بالمنزلة البشرية امتزاجا يجعل من يتجاهل ذلك - وخصوصا اذا كان قصصيا - بمنزلة من قضى على نفسه بالعدم .

ان « لاكرتال » قد ابدى هذا الراي في شأن « جيد » وتعلقه الخاطف بالشيوعية لكن حياة « جيد » هاته المضطربة يعبرها سيل من الانسانية وولع شديد بالعدالة أقحمه بشيء من العجلة في الشيوعية - غير ان كتابا مثل « الرجوع من روسيا السوفياتية » يعد عملا جريئا لا يقدم على مثله الا القليلون - اما عن (رحلته الى « التشاد ») التي قام بها بدون اي تواطؤ مع السلط الرسمية والتي لم يخش فيها مجابهة قوات هائلة ومهاجمتها، فهذا مما يقربه اكثر الى نفسي ويحببه اليها - كان جيد محبا للبشر - والآثار الادبية الجليلة تقترن غالبا بمصير انسان جاهد وتعذب مع شعبه ومع غيره من الناس » .

وقد رأينا ضم هذا الرأي الى ملف « الالتزام » لانارة ادباء العرب والمنتسبين الى الادب من العرب .

● نشرت حديثا دار (قليمار) الباريسية تأليفا جديدا للكاتب الفرنسي الكبير : (البار كامو) تحت عنوان « حاليات -٣- اخبار جزائرية » والمعلوم ان كامو ولد ونشأ بالجزائر وانه من اشهر رجال الفكر في العصر الحاضر - وهذا مما يكسي كتابه صبغة خاصة : فبالرغم مما يستدعي هذا التأليف من التحرز ومما سيثيره من الانتقادات فهو - على كل - وثيقة بالغة الاهمية ستضاف الى ملف القضية الجزائرية المؤلمة .

● عقد المعهد الدولي للتعليم الصحافي العالمي في كلية « ستراز بور » والتابع لمنظمة اليونسكو دورته الثانية للتخصص وذلك من ٣ الى ٢٩ نوفمبر ١٩٥٨ - وهاته الندوة التي شاركت فيها ١٣ دولة مختلفة ترمي الى جمع رجال الصحافة المهتمين خاصة بمشاكل التكوين الصناعي حتى يتمكنوا من حضور حلقة من المحاضرات يلقيها ابرز الاخصائيين من اوروبا الغربية والشرقية وامريكا .

وستركز الاعمال على مختلف مظاهر الاخبار المكتوبة او المنقولة على طريق السينما والاذاعة والتلفزة ـ ولعل هاته الاعمال ستكون متبوعة في سنة ١٩٥٩ باعمال اخرى مماثلة في جهات اخرى من العالم اذ ان النتائج المرضية التي حصلت دورة ١٩٥٧ جعلت منظمة اليونسكو تفكر في انشاء معهد آخر في امريكا وبية مثل معهد « سترازبور » ـ وبذلك يمكن ان تتظافر الجهود وان تعود بالنفع الكثير في هذا الميدان الهام .

● اقيم في عاصمة بلجيكا مهرجان رائع لمحاولة تعيين احسن شريط عرض منذ بداية تاريخ فن السينما . وقد تشكلت لجنة دولية رسمية تتركب من ١١٧ مؤرخا يمثلون ٢٧ دولة ليقوموا بهذا الاختيار ، كما تكونت لجنة اخرى تضم عددا من نقاد السينما والمؤلفين والاخصائيين وعامة المتفرجين الذين حضروا هذا المهرجان ثم تم اختيار ١٢ شريطا من اروع الآثار السينمائية واجلها . هذا وقد اعترفت اللجنة ـ بعد ان اجتمعت طيلة عشر ساعات متتالية ـ انها عاجزة على تعيين احسن شريط لكنها اجمعت على تفضيل ٦ من ١٢ المختارة وهي : « المدرعة بوتمكين ـ الوهم الكبير ـ الام ـ هيام جان دارك ـ التكالب على الذهب ـ سارق الدرجات »

وقد صرح المخرج البريطاني ماكندريك اثر نتيجة الاقتراع : « لقد جئت الى هنا متيقنا ان المسألة مسألة لهو ـ غير اني عندما شاهدت هاته الآثار العظيمة لم يبق ثمة مجال للهو . فقد صار الامر بالغ الخطورة حتى اننا لم نستطع ان نضحي بشريط دون آخر من الافلام الممتازة »

ولا شك ان مبدا اختيار افلام معدودة تفوق كل ما انتجته البشرية في كل زمان ومكان مبدأ عقيم في حد ذاته ـ غير ان هذا لم يمنع المهرجان من ان يكون فرصة لتقابل الافلام ومناقشة مواضيعها واساليبها ولاجتماع عدد كبير من جهابذة النقاد والمخرجين والممثلين من جميع الدول مما اتاح لهذا الموسم نجاحا كبيرا خصوصا وقد عقدت اثر ذلك محاضرات ودراسات لاستخلاص ما يصح ان يسمى « بنواميس الفن السابع »

● اغلق المعرض الدولي العالمي ببروكسال ابوابه يوم ٢٠ اكتوبر المنصرم . وتقدر ادارة المعرض عدد الزائرين بما يقرب من ٤٢ مليون نسمة فيهم من الاجانب بنسبة الـ ١٥ ٪ .

● هل من حق الكاتب ان يحترم الناس حياته الخاصة؟

اجتمع في باريس اعضاء « نادي القلم » *PEN Club* في اواخر شهر سبتمبر تحت اشراف اليونسكو ونظروا في مسالة تبدو من اول وهلة غريبة وهي حق الكاتب في ان يحترم الناس حياته الخاصة وهل يحق للناس ان يذيعوا سرا من من اسرار حياته دون رضاه ؟

وقد اختلفت آراء الكتاب المجتمعين اذ كل عضو من هذه الرابطة درس المشكل من ناحية خاصة . «ففان فريلند » *Van Vriesland* الهولندي و«قوفين» *Goffin* البلجيكي و « جان فولان » *Jean Follain* اهتموا بالمسالة من الناحية القانونية ، وتناول الكاتب الياباني « سي ايطو » *Sei Yto* ناحية اخرى من الموضوع وهي رضا الكاتب في نشر جوانب من حياته الخاصة بنفسه وهذا جار في بلاده وتضاربت الاراء حتى ان البعض يعتقد ان الكاتب ملك مشاع بين الناس يتحتم على كل انسان ان يطلع على كل ما يكتبه وكل ما يصدر عنه من اقوال وافعال لذلك يجب ان تسجل كل ورقة او رسالة كتبها او كتبت عنه في المكتبات القومية

ومما لا شك فيه ان الناس دائما متطلعون الى معرفة ما يقوم به هذا الرجل الممتاز من اعمال في حياته الخاصة اذ هم لا يعرفون عنه في الغالب الا ما جادت به قريحته فالف القصة او نظم القصيد او وقف موقفا من مشكلة او غير ذلك لكنهم يريدون ان يلتقوا به في ميدان آخر يشبههم فيه وهو الحياة الخاصة . هم يريدون ان يعلموا كل دقيقة من حياة الكاتب ليطمئنوا الى ان هذا الرجل الممتاز مازال بشرا مثلهم فنجد القراء يتصيدون تلك الاخبار إما برضا الكاتب عندما ينشر مذكراته او يدون حياته بنفسه وهم لا يطمئنون دائما الى مثل هاته المحاولات واما قسرا عنه عند ما تنشر رسائله الخاصة .

وهي عادة قديمة عريقة في القدم اذ ان الكاتب او المؤلف يراسل اصدقاءه فيبثهم افكاره وما يجيش بنفسه من احاسيس وما تمليه عليه تجربته الشخصية من مواقف في شتى المناسبات والظروف اذ انه يطلع صديقه ما يضن به على غيره من الناس ويكشف له من حياته الخاصة ومن افكاره ما يبخل به على الناس جميعا

وقد خدمت هذه العادة كثيرا من الكتاب واعانت من اتى بعدهم على كشف جوانب كثيرة من حياتهم اثرت ولا شك فيما كتبوه وما اذاعوه من آراء بين الناس

وهذا ما جعل الكثير من الباحثين يعتنون بالرسائل مهمـا كانت قيمتهـا وهذا ما جعلنا نحن في هذه المجلة لا نتأخر في نشر هذا النوع من الرسائل وقد عبرنا في العدد الماضي رسالة لابي القاسم الشابي بعثها الى صديقه الحليوي ومما فيها ان شاعرنا لا يعرف الفرنسية وهو عاجز عن التكلم بها او قراءة آثارها عجزا تاما وهو يخالف تماما ما اقره الاستاذ فروخ في دراسته الاخيرة عن الشابي ثم ان الشابي يطلعنا على تجربته الشخصية في الطريقة التي بها تمكن من نشر شعره وكتاباته في الشرق عندما ايقن بكساد سوق الادب في تـونس ، لكنـه لـم يلـق بنفسه في احضان الشرق بدون ترو بل هو ينصح صديقه الحليـوي سنـة ١٣٥١ قائلا : « ذكرت انك تريد ان تكاتب السياسة الاسبوعية وتنشر على صفحاتها وحي افكارك ورايي الذي يجب ان اصارحك به ان كبرياء مصر وفرعونيتها انما تتمثل في جريدة السياسة الاسبوعية وجماعتها اكثر من كل صحيفة وفريق واتني افضل نشرك ابحاثك في « ابولو » لاسباب :

١) لانها مجلة خلقت لخدمة الادب العربي بقطع النظر عن الفروق الوطنية والسياسية

٢) لان جماعتها اقل فرعونية وادمث اخلاقا من جماعة السياسة الذين على رأسهم هيكل اول داع للفرعونية ومشيد بها وقد رايت من اخلاق جماعة « ابولو » ذلك المثل الصغير الذي ذكرته لك .

٣) ان جماعة « ابولو » مازالوا شبانا لم يبلغوا الكهولة بعد ولم يبلغـوا من الشهرة وشيوع الذكر ما ينفخ في انافهم الشيطان بعكس جماعة السياسة .»

بهذا يتبين لنا ان رسائل الكتاب لها قيمة كبيرة تجعلنا نكاد نـؤمن بان الكاتب ملك مشاع بين الناس .

● منح دراسية هندية للدول الافريقية الاسيويـة

جاء في العدد ١١٧ من جريدة صوت الشرق الهنـدية هذا البـلاغ الذي ننشره بدورنا لما قد يجده فيه بعض الشباب من الفائدة :

« قررت حكومة الهنـد تقديم ١٥٠ منحة دراسية للطـلاب غير الهنود

والطلاب ذوى الاصل الهندي المقيمين اقامة دائمة في حوالى خمسين بلدا في ا
وافريقيا وذلك بقصد النهوض بالعلاقات الثقافية بين الهند والبلاد الاجنبية
وستقدم هذه المنح للراغبين في اتمام دراساتهم العليا في الهند بمقتضى برنامج المنح الدراسية لعام ١٩٥٩ - ١٩٦٠ .

والمنح متاحة لطلاب الفنون والاداب والعلوم والزراعة والطب والفن الصناعي والتربية والقانون والتجارة والغابات والطب البيطرى والهندسة والصحافة والدراسات الافريقية .. الخ .. وسيفضل الخريجون على غيرهم

ويمنح كل باحث مبلغ ٢٠٠ روبية شهريا وفقا لنفس النظام الذي جرى عليه العمل في الاعوام السابقة . وتدفع الحكومة فضلا عن ذلك نفقات التعليم ورسوم الامتحانات . ويحصل الباحثون على معونات مالية اخرى على هيئة بذل كتب ومصاريف العلاج ومنحة العطلة السنوية وما شابه ذلك

ويتحمل هؤلاء الباحثون مصاريف الانتقال من بلادهم الى الهند والعكس وكذلك جميع مصاريف السفر في داخل الهند ، فيما عدا السفريات المعتمدة التي تدخل ضمن برنامج دراستهم بالهند او السفريات من والى معسكرات الترفيه عن الشباب التي تديرها الحكومة او المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

وتقدم طلبات الحصول على هذه المنح الى ممثلي حكومة الهند في البلاد المعنية الذين سيتولون الاعلان عنها . وتمنح المنح بناء على توصيات هؤلاء الممثلين، ومن ثم فان جميع الطلبات يجب ان تقدم اليهم لا لوزارة الشؤون الخارجية او وزارة التربية والتعليم الهندية »

● حركة الترجمة العالمية

اصدرت هيئة اليونسكو دليلا عن المؤلفات التي ترجمت من اللغات واليها خلال العام الماضي وقد خرج الدليل في ٦٩٥ صفحة بقلم جوردي لرمانس من منظمة اليونسكو . ويتضمن الكتاب قوائم واحصاءات واعلام وعناوين وتواريخ وقد سمى « دليل الترجمات » .

وقد جاء فيه انه ترجمت مؤلفات صينية استغرقت ترجمتها عدة سنوات ويبلغ عددها ٧٠ تتناول في معظمها ثلاثة موضوعات :

مجموعات القصص الشعبي ودراسات وتأملات لين بوتانج بالانكليزية ، ومؤلفات ماوتسي تونغ باللغات اليونانية والعبرية والروسية والبولونية والايطالية والتشيكية والسلوفاكية و ٤٠ مؤلفا في الادب والفلسفة والتاريخ ٢٣ منها بالروسية و ٥ بالبلغارية والبقية موزعة بين ١٤ لغة .

اما اللغة اليابانية فقد ترجم منها ٤١ مؤلفا الى ١٣ لغة غربية بيد ان الذي ترجم راسا منها بلغ ٢٢ مؤلفا .

ومن اللغة العربية ظهرت طبعات جديدة للقرآن الكريم في بريطانيا وامريكا . اما المؤلفات العربية المترجمة فلا يزيد عددها عن ١٥ مؤلفا : ٣ الى الفرنسية و ٣ الى التركية و ٣ الى السويدية والباقي كل الى لغة غربية اخرى والى جانب هذا ظهر كتاب « الف ليلة وليلة » في ١٣ طبعة جديدة !

اما الترجمة الى العربية فقد بلغت المئات من مختلف الثقافات .